

الصبح وبعد صلاة العصر كتبه الله من أهل الفردوس .

وهذه الصلاة من صلى بها مرة واحدة فكأنما قرأ دلائل الخيرات سبعين ألف مرة وهي اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك. وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سلاما يعدل سلامهم وهذه الخواص من أسرار الله المكنونة التي لا يعلمها إلا من خصه الله بمعرفتها فليستعملها الإنسان بنية صالحة صادقة سالمة من الشك وسوء الاعتقاد فمن حسنت نيته أدرك ما ذكر فيها وبالله سبحانه التوفيق والسلام اهـ

سيدي الحاج الداودي

وممنهم العلامة الذي انتفع به أهل عصره وأوانه وحنثت من حلفت لتأين بمثله يمين زمانه علامة الدين في الدنيا والبدر الذي استوى في أوج المعالي على عرش العليا أبوالموهب والمكارم وأم الفضائل في العوالم ذو الشرف الباذخ والقدر العلي والهمة العالية والفضل الجلي أبو العباس سيدي الحاج الداودي التلمساني الأصل الفاسي القرار الشهير الذكر عن التعريف به .

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى الدليل

ألا وإن جميع أكابر علماء طبقة قد اقتبسوا من مشكاته نور العلم وملكوا بدلالته إلى الحق في الشريعة والحقيقة في طرق كم زلت فيها أقدام ذوى الفهم ، وقد أخذ عن سيدنا رضى الله عنه في عنفوان شبابه بلا واسطة إلا أنه كانت بينه وبين السادات الناصريين قدس سرهم مودة كبيرة ومحبة من الجانبين شهيرة شديدة الاتصال لاتسام بانفصال حتى ظن كل من رآه معهم أو سمع بمخالطته لم أنه أخذ عنهم الوسيلة الناصرية وليس كذلك وقد ثبت عندي من طرق الثقات أنه كان قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ملازما لصاحب سيدنا رضى الله عنه العلامة الجليل سيدي محمد بن المشرى رحمه الله بحيث لا يخرج غالبا من الزاوية المباركة إلا في ضرورياته يتبرك بالنظر في وجه سيدنا رضى الله عنه ويتلذذ بمعسول خطابه وسحر بيسانه ويحضر مجلسه للأخذ عنه وقد حدثني بما يشهد لهذا ولده وشيخنا العبد المذكي والحببة الزكي الصلاة الفاضل والدراكة الكامل ذو الهمة العالية والشيم الغالية والبحر الخضم من كل علم عوض والدي والأخوة بيدي في جميع مقاصدي

أبو السعود سيدي محمد الحبيب حفظه الله ورعاه ، ومن جملة ما حدثني به أن والده صاحب الترجمة هو صاحب القضية المشهورة بين الإخوان المعدودة من كرامات سيدنا رضى الله عنه في إغائته لمن استغاث به من المسافرين في البر والبحر ، وقد ذكرها صاحب البغية ولم يسم من وقعت له ونصها : وقد حدثني من أثق به من أهل العلم وشرف النسب أن بعض فقهاء تلمسان أعادها الله دار إسلام بمن استوطن حضرة فاس وكان من جملة المدرسين بالقرويين أنه حدثه فقال له إني كنت في حال شيق ارتحلت من بلدنا تلمسان إلى فاس بقصد قراءة العلم فكان من جملة من قرأت عليه من العلماء بها فلان وذكر له صاحب سيدنا رضى الله عنه سيدي محمد بن المشري رحمه الله تعالى قال وحين أزمعت السفر من فاس والرجوع إلى بلدي أتيت مشايخي بقصد توديعهم وطلب صالح الأدعية منهم والوصية بما ينفعني الله به على العادة في ذلك . ومن جملة من أتته من المشايخ بذلك القصد السيد المذكور ما أنفا فكان من وصيته لي أن يقال لي إذا كنت في شدة وضيق فاستغث بهذا الرجل يعني الشيخ رضى الله عنه وأكده على في ذلك قال فسافرت إلى بلدي ثم سافرت بعد ذلك من بلدي قاصدا حج بيت الله الحرام فركبت البحر فكان من قدر الله تعالى أن تكسرت بنا السفينة التي كنا بها قال فبقيت أنا ونحو من السبعة يحملنا بعض ألواح السفينة حتى ارتفعت لنا جزيرة بوسط البحر فتحاملنا إليها وجلسنا نتنظر الموت لا يكلم أحد منا أحدا ، فبينما أنا أفكر إذ ألقى الله ببالي مدينة فاس والفقهاء الذين كنت أقرأ عليهم فوقع الوصية ببالي فاستغثت بالشيخ رضى الله عنه وأنا في تلك الحال فأخذني شبه سنة وإذا بالشيخ رضى الله عنه وقف أمامي وقال لي قل يا هليما بالألفاظ نجنا مما نخاف قال فانتبهت وأنا أقولها فلم نابث إلا قليلا وإذا بسفينة ظهرت لنا فظهرت أشخاصنا لرئيسها فقصد الجزيرة وحملنا وسار بنا حتى أنزلنا حيث الأمن من البر قال فأرخت ذلك اليوم ولما رجعت إلى فاس سألت عن الشيخ رضى الله عنه فقيل لي مات فسألت عن تاريخ وفاته رضى الله عنه فألفيت اليوم الذي وقع لنا فيه ما وقع وشاهدت فيه تلك الكرامة العظيمة هو اليوم السابع من يوم وفاته رضى الله عنه اهـ

توفي رحمه الله ليلة السبت رابع عشر محرم الحرام فاتح عام ١٢٧١ هـ ودفن

بالزاوية الناصرية بالمباح المتصل بقبتها بركنه الذي عن يمين الداخل بالقبر الثاني من القبور المتصلة بمحاطة القبة وكانت جنازته حافلة ويوما مشهودا رحمه الله
السيد العباس الشرقاوي

ومنهم الولي الكامل العارف الواصل ذو القلب السليم والفضل العظيم المقدم الجليل أبو عبد الله السيد العباس الشرقاوي أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الملحوظين عنده بعين الإجلال . وقد قدمه قيد حياته لتلقين طريقة، المحمدية لطلابها فقام في ذلك أحسن قيام وهو أحد التسعة الذين كانوا يذكرون التحاصين بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه كما سيأتي لنا بعض كلام في ذلك إن شاء الله تعالى . وكان رحمه الله قبل دخوله في الطريقة من العـدول المبرزين

للمشاهدة ، ولما دخل للطريقة أمره سيدنا رضي الله عنه بترك خطة العدالة وقال له كن حمالا أو فحاما ولا تقرب هذه الخطة فتركها فلم ييسر الله عليه في صنعة يستعين بها على المعيشة فجاء إلى سيدنا رضي الله عنه وقال له يا سيدي انظر لحالي وقصد بذلك رخصة الشيخ له في الرجوع إلى تلك الخطة فقال له الشيخ رضي الله عنه رح لدارك والزم محلك فإنه يأتيك رزقك فكان يأتيه في كل شهر ما يكفيه من زرع وادم وغيرهما من هند سيدنا رضي الله عنه ، وكان يأمر الشيخ رضي الله عنه بهض أصحابه بزيارته، بداره وكانت تعتريه أحوال وخوارق عادات .

وبلغني عن الولي الكبير مولاي محمد بن أبي النصر أنه كان يقول بعد موت صاحب الترجمة كان سيدي العباس الشرقاوي ساحقة من السواحق ومن الأولياء الكبار . وقد توفي بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه ضريرا ، ومن كلامه ثلاثة يستدل بها على عقل الشخص وحمته : رسوله وكلامه وهديته اهـ

الحاج العياشي الفاسي

ومنهم البركة الفاضل والعارف الواصل من حصلت له النظرة التجانية والعطفة الامتنانية أبو هـب الله السيد الحاج محمد العياشي الفاسي أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه وهو في غنى عن شيا به وكان محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه لقيامه بالديانة أتم قيام ورفع همته عن سفساف الأمور حتى نال أرفع مقام ، وقد أمره سيدنا رضي الله عنه بالسفر إلى المقدم الجليل سيدي المفضل السقاط لينجبه أنه

أجازه بالتقديم لتلقين طريقته فشد الرحلة إليه واجتمع به بقنا بمصر ولما وصل إليه وأعلمه بالإذن بذلك فرح به غاية الفرح وأحبه حبا شديدا وكان الفقيه العلامة سيدي محمد بن أحمد إكنسوس رحمه الله يعظم صاحب الترجمة التعظيم التام إلى أن توفي رحمه الله وهو من أولاد أعمام المقدم البركة المعظم السيد علال الفاسي ، وقد ترجمنا لهذا السيد رحمه الله استطرادا فيما تقدم إلا أنه فائنا ذكر نبذة من القصيدة النونية المسماة ببشارة الجاني ومزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني لأديب الزمان وفريد العصر والأوان الشاعر المفلق الشهير الذكر في المغرب والمشرق أبي عبد الله سيدي محمد بن الخليفة المدني رحمه الله حيث تعرض فيها لمدح السيد علال الفاسي المتقدم ونص مدحه له فيها عند ذكر من أخذ عنه الطريقة المحمدية بعد مدحه للولي الصالح سيدي العربي بن السائح قوله :

وتمام إذني بعده قد كان لي
الفاضل الغطريف مفرد عصره
علال الفاسي بن عبد الله من
هو ملجأ الغرباء وهو ملاذهم
هو عمدة الوعاظ وهو رئيسهم
هو حجة عندي ولم أعبا بمن
ذاك ابن مجذوب سليل أكابر
أضحوا يحط رجال أهل الارتحا
قد أغمروني في بحار علومهم
لم لا ونخبة نسلهم وفروعهم
قد كنت في أسف عظيم قبل ذا
قلت الذي قد كنت أطلب نيله
كم كان قابلي بإجلال وكم
أبقاه مولانا وأبقى نسله
وبجائه لازلت أرجو عطفه
أذ هو ممن نال منه شفاعته

من نخبة الصلحاء في ذا الآن
مولى المكارم منقذ اللفان
بمودة وصداقة صافاني
هو بغية الفقراء والإخوان
وهو الخطيب بحضرة السلطان
قد صار ينكره بلا سلطان
شهدت فضائلهم بكل مكان
لأبائهم يأوي المسوء الجاني
لي في القيام بحقهم أجران
بالجزل من معروفه أسداني
لولا الزمان بقرية هناني
من فضله وبما رجوت حباتي
بحميل صنع منه قد كافاني
في الستر والإعزاز والرضوان
من شيخنا يوفي بها سؤلاني
في عصره والأخذ عن إخوان

بأهم إذن فاز من أصحاب سيدنا الكبار خلاصة الأعيان
قد خصصوه بما به قد خصهم شيخ المشايخ ختمنا الكتمان
وهذه قصيدة من أعذب الشعر المعسول المزوج بالسحر الحلال للعقول وهي
طويلة تزيد عن ٧٣٠ بيتا يقول في مطلعها متغزلا في الطريقة

نضحت بغيث الحب عين جناني
جنك ذوائبها فكانت جنتي
وجلت لنا من تحت غيب جعدها
وقفي غروري حسن غرتها فلم
بهرت بطلعتهم العقول كأنها
إلى أن قال فيها :

أنا لست من أهل الصباية إنما
فلذا جنحت إلى حماها طالبا
بالأئمة في قربها جهلا بها
لكن جهلت جمالها وكما لها
عدلا منعت الحظ منها والرضى
وبنفثة المصدور فمت منقضا
وبذلت لي شبه النصيحة ظاهرا
لك قصدك الواهي الدني وليّ قصدي فهو عين الحق بالإيقان
يا حاذلي دعني فليست مساعدا
أتروم أسلو ربة الحسن التي
أوبعد ما ظهرت دلائل حسننها
لو أن لي ملء البسيطة السننا
إذ هي خير طريقة قد أبرزت
أسكنتها مني مسويدا القلب وهي لي السواد اليوم في إنساني
هي للحشا الإكسير يغدر خالصا
هي بغيثي هي منيتي مذفلتها
في حبها قد صار لي ضعفان
نيل الوصول لمربع الخلان
لو كنت تعلم كنت أول داني
فحرمت جدواها فأنت العاني
إذ كنت بالتعنيف أول جاني
دعواك محض الزور والبهتان
وخبأت ضمنا خدعة الشيطان
ما مثلها في سائر الأكوان
يبقى التفاتني للعدول الشاني
لمدحت مظهرها بكل لسان
من ربنا للعالم الإنساني
فلقد ظفرت إذن بنيل أمان

هذا اعتقادي لم يزل فيها يزيد تمكنا كمقائد الإيمان

لم لا وفي ظلالها من فوقنا
وإذا المعنف لم يخنني صادقا
تالله لم أبرح عليها عاكفا
أفلا لازم ذكرها السامى وسا
حاشا وكلا أترك الورد الذي
وعن الشمايل مد والإيمان
أبدى إليه مغلظ الإيمان
حتى الاق الله فى الرضوان
رى سره يحلو لدى السريان
هو نخبه العربى والسريانى

إلى أن قال فى مدح الشيخ رضى الله عنه

وضمانه المختار عمت صحبه
ضمن الوصول لآخذ أذكاره
فبذا الفلاح مع النجاح تحققا
هو عروة وثقى لآخذ ورده
من لم يكن سهل عليه ببلوكة
فليه تف النهج القويم المنتهى
فيه السعادة والولاية والرضى
من بحره القصاد حقا ترتوى
ياصاح يمم بابه إن رمت أن
به غاية المقصود تجنى إن تكن
فله كرامات تفوق الشهب من
وخوارق العادات ليست عنده
يبدى المعجائب لو أراد وإنما
خير الأمور عبادة الرحمن

إذذاك شأن الكمل المستيقنين العارفين بسطوة الديار
فلذاك لم يظهر سوى مافيه نفيع المسلمين وطاعة المنان
فأعرف بذلك قدره ومقامه
فلولك الجنات حبك موجب
والزم هديت محبة الوطنان
وبساق مبعضه إلى التيران

إلى أن قال :

فى جمعة رامية والإثنين نا ل بلا محاسبة دخول جنان

وله السعادة حقت من غير ما
قد كان ذاك لكافر والمؤمن ۱۱
أما المحب لشيخنا أو آخذ
فلذلك انقطع التفاتى للسوى
ولذا ترانى اليوم لست بزاثر
عودت من نفسى اذى مهم ما قصد
إن كنت أحنو حين يجرى ذكره
لا استمد سوى من المدد الذى
وجعلت فى حل جميع الأولياء
لكننى عظمت حرمتهم لته
ثبتت مذلة من أهان لبعضهم
قد جاء حب الأولياء ولاية
وسواء الأحياء والاموات فى
فلذا أعادى كل من آذاهم
تعظيم كل الأولياء طبيعتى
حيث انتساب طريقى للبصطفى
إن كنت ملتفتا لهم أعرضت عن
ويكون إعراضى عن الأستاذ ۱۲

راضا من المختار فى الإبطان
إذ هو رتب فى الحقيقة ورده
فالإلتفات إلى السوى هو مغلق
ياصاح لا تركن لدون مقامه
هذا هو الغوث الذى قد أذعنت
هذا هو الختم الذى أمداحه
فما تحركت القريحه لثنا
فأردت نسج بديع مدح رائق

راضا من المختار فى الإبطان
ليكون وصلتنا إلى الرحمن
بينى وبينه سائر البيان
كن حلف جد تارك الهديان
لسنى علاه أكابر الديوان
وافى لنا من غير ماديوان
عليه ترجو الأجر كالأقران
لكن بليد الفكر فيه عصاني

ما كنت أهلاً لامتداح جنابه
لكن لذك الحق قد أدانى
رتبت نظماً طال دون إجاده
أو رقة واليحر قد وانانى
عذرى قصورى فى القريض أبنته
خوف انتقاد بايغ او ملسان
أرجوه صفحاً عن معائبه إذا
ما مخطئاً فى بعضه ألفانى
لم أرض بالتقصير فيه وإنما
الباع القصير بمثل ذا أرضانى
ما كان إجحافى بقصد إنما
فى حسنه قد زادنى تيهانى
ومديحه أعدده جيشى إذا
ما كنت فى أرض العدو حمانى
إن كان أدلى دلوه غيرى فى
حبلى الرجا لى عنده دلوان
إن لم يكن عقلى بمدحته ذكى
فعبير طيب حديثه ذكانى
تمت فى أطرافه فكرى كما
تمت فى مآثره إنسانى
إلى أن قال فى توبيخ نفسه وإيعاظها مخاطباً الشيخ رضى الله عنه وقد أجاد
فى ذلك غاية .

عظماً أيا ابن محمد يا قدوتى
سل لى الإله العفو إن أخزائى
كن للعبيد أيا ابن مختار فن
دهش لقد أصبحت كالسكران
كن منقذى ومؤيدى ومعضدى
قال نفس والشیطان قد كادانى
حتى ارتكبت محرمات جمعة
عنها المهيمن فى الكتاب نهانى
أذنبت ذنباً لم يحط قولى به
أنقلت ظهري ثم أثقلت البرى
أكثر من فعل القبيح لأجل ذا
فأرقت أهل الفضل حتى فارقت
فهل بى ياتفس نحو رحابهم
أثقلت ظهري ثم أثقلت البرى
أكثر من فعل القبيح لأجل ذا
فأرقت أهل الفضل حتى فارقت
فهل بى ياتفس نحو رحابهم
عودى بنا نحو الطريق المستقيم
فدعى الضلالة واقتنى سبل الهدى
كم من مهاو قد وقعت بها فهل
مهما سمعت الوعظ قلت إلباية
دعنى أمتنع بالشبهة قبل أن
تقضى كعادة سائر الشبان

دعني قد نبى لم يكن عن جرأة بل إنما المولى بذاك بلاني

دعني فليست بأول اللاهين بل

دعني ستمهاني صلاتي بعد ذا

قاله أخبرنا بمغفرة الذنوب

قد قال ربي رحمتي وسعت وقو

ووهوده لاشك في إيفائها

ما يفعل المولى بتعذيبى إذا

إن رام تعذيبى صبرت لحكمه

أو رام يرحمنى فذلك شأنه

ربي كريم لم يزل متفضلا

إذ هو قابل توبتى فمضى أرى

لله يا نفس انركى لتعال

لما اقتفيت هواك قبل تبصر

كم مرة أن افتضاحى لكن ا

لبليس غرك فاقتفيت سنيله

هو مثل فرعون اللعين وأنت ت

لم اغترر بكما وما أبديته

هو الذى بالغيب يخشى ربه

لا يأمن المكر الإلهى غير من

كل لما قد كان مخلوقا إليه

فإلى متى يبقى انهماك فى الهوى

ثوبى فقد لازمك كل قبيحة

ما للبلاى خالق قد كان أو

كم رمت قربا من حظائر قدسه

هلا تولى للإله وتركى

إن الرحيل دنا ودب نذيره

قبلى الهوى كم هد الأبدان

كل الذنوب تزاح بالغفران

ب جميعها فى محكم القرآن

ل الله محفوظ من النقصان

جلت عن التعطيل والبطلان

شكرى وإيمانى به سبحانه

فهو الذى من نطفة سوانى

كم عمى بلطائف الإحسان

كم قد عصيت وحله غطاني

يوما من الأدناس قد صفاني

إن التعلل للحفظ رمانى

أهـاكتنى لولا الإله رعانى

مولى بثوب الستر قد غشاني

فقدوتما بكرامة تعدان

ت قبيح وصف كان فى هـامان

فمفوض لمشيشة الرحمن

لا للبارز من ذوى الكفران

آلت هواقبه إلى الخسران

كل لما قد كان مخلوقا إليه

يا نفس هذا الوزر قد وارانى

حتى لقد نفرت بذا خيلانى

جدنى ولا لهراك قد خيلانى

وقبيح جرمك عنه قد أقصانى

خوفا سلوك محجة العصيان

فى عارضى والبنون حيلانى

فتجنبي الشبهات طرا واجنحي
من قارب النيران لم يأمن لها
من رام بعد ذوات سم عنه لا
إذ رانع حول الحمى لاشك يو
فقني لأمر للشرعية واتركي
وتوجهي لله في طلب الرضا
وتوسلي باللهاشمي ونجمله
إلى آخرها وهي لطيفة كادت أن تذوب لطافة ، وما تركنا ذكرها كلها إلا
لطولها والله الموفق .

سیدی أحمد التواتی

ومنهم البركة الجليل الفاضل المشيل الولی الصالح النور اللاحق أبو العباس السید
أحمد بن محمد التواتی أحد الخاصة من أصحاب سیدنا رضی الله عنه . كان رحمه الله
معروفا بإجابة الدعاء موسوما بالفتح بين الأحياء والأعداء . وقد وقف بخطه على
دعاء المغنی الذی یقرأ بعد الحزب السیفی لتلا يتضرر قارئه كتبه لولد الخليفة سیدی
أبی یعزی ، نذكره هنا رجاء دعوة صالحة ونصه : إلهی بك استغثت فأغثنی
وعليك توكلت فاكفنی . یا كافی اكفنی المهمات من أمر الدنيا والآخرة ، یا رحمن
الدنيا والآخرة ورحیمها إني عبدك بیابك ذلیلك بیابك أسیرك بیابك مسكینك
بیابك ضیفك بیابك یارب العالمین الطالح بیابك یا غیاث المستغیثین المقر بیابك
مهمومك بیابك یا كاشف كرب المكروبین وأنا عاصیک ، یا طالب المستغفرین
المقر بیابك یا غافر المذنبین المعترف بیابك یا أرحم الراحمین الخاطيء بیابك یارب
العالمین الظالم بیابك البائس الخاشع بیابك ارحمنی یا مولای إلهی أنت الغافر وأنا
المسئء وهل یرحم المسئء إلا الغافر . مولای مولای إلهی أنت الرب وأنا العبد
وهل یرحم العبد إلا الرب مولای مولای إلهی أنت القوی وأنا الضعیف وهل
یرحم الضعیف إلا القوی مولای مولای . إلهی أنت العزیز وأنا الذلیل وهل
یرحم الذلیل إلا العزیز مولای مولای . إلهی أنت الکریم وأنا اللئیم وهل یرحم
اللئیم إلا الکریم مولای مولای . إلهی أنت الرزاق وأنا المرزوق وهل یرحم

المرزوق إلا الرزاق مولاي مولاي . إلهي أنا الضعيف أنا الذليل أنا الحقير أنت
العل أنت العفو أنت الغفور أنت الحنان أنت المنان أنا الضعيف إلهي الأمان الأمان
في ظلمة القبر وضيقته . إلهي الأمان الأمان عند سؤال منكرو ونكير وهيتنهما .
إلهي الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدة . إلهي الأمان الأمان في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة . إلهي الأمان الأمان يوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . إلهي الأمان الأمان يوم زلزلت الأرض
زلزالها . إلهي الأمان الأمان يوم تشقق السماء بالغمام . إلهي الأمان الأمان يوم
تطوى السماء كطي السجل للكتاب . إلهي الأمان الأمان يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . إلهي الأمان الأمان يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا . إلهي الأمان الأمان يوم ينادى
المنادى من بطنان العرش أين العاصون أين المذنبون وأين الخاسرون هلموا إلى
الحساب وأنت تعلم سرى وعلا نيتي فاقبل عذري . إلهي ماه من كثرة الذنوب
والعصيان ماه من كثرة الظلم والجفأ ماه من النفس المطرودة ماه من النفس المطبوعة
بالهوى من الهوى أغثنى يا غياث المستغيثين أغثنى عند تغير حالى اللهم إني عبدك
المذنب المجرم المخطئ أجرنى من النار يا مجير يا مجير . اللهم إن ترحمى فأنت أهل
وإن تعذبني فأنا أهل فارحمى يا أهل التقوى وأهل المغفرة ويا أرحم الراحمين ،
ويا خير الناصرين ويا خير الغافرين حسبي الله وحده برحمتك يا أرحم الراحمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين } وكتب بيده الفانية العبد الجاني
خديم حضرة التجاني أحمد بن محمد التواتي في يوم الاثنين أول المحرم فاتح سنة
١٢٥١ في زاوية شيخه بضريح القطب المكنوم التجاني أدركه الله برضاه دنيا
وأخرى بحاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للحبيب ابن الحبيب السيد أبي يعزى
ابن الحبيب السيد على حرازم رضى الله عنه

سیدی محمد بن الفضیل التواتی

ومنهم مفتاح أقفال الأسرار ومصباح المعارف والأنوار بحر العلوم العرفانية
ومعدن المواهب الإحسانية العارف بالله سيدى محمد بن الفضيل التواتي . هذا السيد
الجليل من أكابر الأولياء الذين أخذوا عن سيدنا رضى الله عنه طريقته بعد أن

كان سافر إليه سيدنا رضى الله عنه وأخذ عن سيدنا رضى الله عنه بعض الأسرار
الخصوصية ثم رجع هو لطريقته اغتناماً لهذه الطريقة المحمدية وقد ترجم له في البغية
عند قوله في المنية :

وسافر الشيخ إلى توات لاجل عارف له موات
مانصه : وتوات صقع صحراوي معروف ومواتى موافق والمراد هنا أنه
مشاكل له لما بينهما من الجنسية التي هي طلاب الرتب العوالي والمقامات العزيزة
الغوالي ، واسم هذا العارف على ما بلغني عن ثقات الأصحاب من أهل الصحراء
سيدي محمد بن الفضيل بالتصغير وهو من أهل تكرارين من توات الغربية إلى أن
قال بعد كلام في إقامة الشيخ رضى الله عنه بأبي سمغون مانصه ، وفي هذه المدة التي
أقامها بأبي سمغون سافر إلى توات بقصد زيارة أهل الخير بها وملاقاتهم وخصوصاً
العارف بالله سيدي محمد بن الفضيل المتقدم الذكر المشار إليه في النظم ، وبما سمعته
من الثقات الفضلاء من أصحابه الصحراويين وحفظته بالتقيد أن سيدنا رضى الله
عنه كان كتب إلى هذا السيد أولاً كتاباً يطلب منه فيه شيئاً من الأسرار فلم يجبه
عن ذلك الكتاب رغبة منه في اللقي والمواجهة بالخطاب ، فعرف سيدنا رضى الله
مراده فبادر من حينه إلى إجابته فيما قصده منه وأراده فعمل الرحلة إليه وسار حتى
انتهى إلى محله وخيم عليه ، ولما قضى الواجب من زيارته ومواصلته أتخف منه بما
كان السبب في رحلته إليه ووفادته ، واستفاد هو أيضاً حسباً في الجواهر ، من
سيدنا رضى الله عنه بعض أسرار الطريق وشيئاً من علوم الأذواق والتحقيق .

السيد الطاهر بن عبد القادر القندوسي

ومنهم خائض بحور الأسرار والمقتطف من أفنان فنون اللطائف طرائف
الآزهار ، البركة الأجل السيد الطاهر بن عبد القادر القندوسي القاطن في ناحية
توات . هذا السيد من أفاضل المفتوح عليهم في زمانه أخذ الطريقة عن المقدم البركة
السيد العربي بن إدريس التواتي ثم تلاقى بسيدنا رضى الله عنه وذلك بعد سنة
عشرين ومائتين وألف ، ووقفت دلي رسالة طويلة بخط يده بعثها إلى سيدنا
رضى الله عنه على يد البركة سيدي عمارة بن صالح قبل الاجتماع به يتشوق فيها
للإجماع بسيدنا رضى الله عنه ويسأله فيها الدعاء له بصالح أحواله وأن ينقذه من

قيود أحواله ، ومن هذه الرسالة قوله وأؤكد عليك يا سيدي أن تطرح همتك هلى
قلبي من هناك لكي تحرق هوى جسمي بنور المعرفة والحضور وبسر المحو والتلاشي
في المذكور في أدق أوقات الإجابة حيث تحتال ١٠ ، للوقوف بين يدي الخلق في
الحضرة القدسية ، يقول الشاعر :

لما علت بأن قلبي فارغ مما سواك ملأته بهواك
وملأت قلبي منك حتى لم تدع مني مكانا خاليا لسواك
والقلب فيك هيامه وغرامه والنطق لا ينفك عن ذكراك
والطرف حيث أحيله متلفتا في كل شيء يحتل معنأك
والسمع لا يصغي إلى متكلم إلا إذا ما حدثوا بحلاك

وأردت من الله ثم من سيدي تفهمني إشارة الشاعر الذي قال في إنشاده :

أحرف أربع بها هام قلبي وتلاشت بها هموم لفكري
ألف ألف الخلائق للصنع مع ولام على الملامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني ثم هاء بها أهيم لأدري

فهم لي إشارة الألف الذي ألف الخلائق للصنع ماهو وما معنى اللام التي على
اللامة تجري وما معنى اللام الزائدة في المعاني والهاء التي يهيم فيها ماهي لأنني فهمت
في ذلك من الله فهما وما سمعته من أحد ولا رأيته في كتاب وخفت أن أهلك بتلك
النية حيث لم يكن عندي فيها شيخ إلى آخرها بتاريخ أواخر شعبان عام ١٢٢٥

المقدم العربي بن إدريس التواتي الشلاني

ومنهم المحب الصادق في الطريقة المحمدية ورجالها المقدم في حلقات المكارم
لإحراز كمالها البركة الأجل السيد العربي ابن محب سيدنا رضى الله عنه البركة السيد
إدريس التواتي الشلاني هذا السيد من جملة أفاضل المقدمين لإعطاء طريقة سيدنا رضى الله
عنه في حياته المغترفين من بحر أمداده وفيوضاته ، وقد وقفت على رسالة بعثها
إلى سيدنا رضى الله عنه تدل على علو منصبه مع تواضعه التام ، ويشرح فيها لسيدنا
رضى الله عنه جميع أحواله ويشتكى له من أمور تعرف من مقاله ومن خطه نقلت

١٠ ، تحتال بمعنى تجتهد فهو يحاول نفسه الإقبال الكلى على ربه ام المصحح

مباشرة مانصه : معدن الانوار وزمزم الاسرار ومنهل الواردين وهادي المرادين
حين شمس العارفين المتأسس بالشهادة في كل نفس وحالة ، زاده الله ترقيا وقوة ،
الشيخ سيدي أحمد سلاله سيدي محمد التجاني نفعنا الله به آمين مطلق سلام الله على
سيدنا ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه من غير عدد ولا حساب وعلى جميع من
ينتسب لسيدنا ومن بدائرته ومحبته ، وأخص منهم سيدي محمد بن المشري وبعد :
سيدنا فإذا على محبتك ومحبة من يحبك ومن هو في سلسلتك والحمد لله على ذلك ومن
ذلك نرجو الخير إن شاء الله ، واعلم سيدنا أعليك الله بخير وأنى أخذت وردك
في حياة الحاج أحمد الزاوي رحمه الله وكنت من حياة والدنا محبكم لإدريس التواتي
الشلاني محبك ومحب من أخذ عنك وجعلت على ذلك ولا نرى أحدا من ناحيتكم
إلا سألته لعل أجد منكم وأكرم من أجلك وبقيت نسال العرب وكل من ورد
من الظهرا وتعرفت بالحاج أحمد في الزمان الذي كان يعتق فيه العبيد بإذن سيدنا ،
وعلم بمخبتى في سيدنا وأتاني بكتاب كريم من عند سيدنا يتضمن لي الإذن في ورده
العزير وفي إعطائه لمن طلبه من المسلمين ، وكاتبه سيدي محمد بن المشري وسررت به
غاية السرور وقبلته ومسحته على وجهي وفتحته ووجدت فيه ما شئت عندي وجوالاته
أعز شيء عندي فيها هو عندي محترم عزيز والله الحمد ، وقدمت بعد ذلك لمدينة فاس
وصليت خلفك صلاة العصر في الجمعة ومع هذا كله كنت مقطوعا بهواي من ربي
مطموس البصيرة وأنا جاهل ما أنا فيه غير أني كنت عالما بالله عز وجل غير عامل
واجترأت على ربي غاية الجرأة إلى يوم وأنا نائم إذ رأيت أنا من مجتمعين صالحين
وكثير من أعمال الخلق معرم شيء صغير وشيء كثير . وقلك الجماعة على عرمة
رطب كبيرة جيدة وأردت القعود معهم فقبضني واحدا منهم بيدي بحسن الخلق ،
وقال لي أنت لست منا لأنك لست من المتقين وذهب بي إلى عرمة صغيرة ورأيت
فيها جميع عملي واستحققتها وقال لي عمالك كله ، أو اتركه وذهب عني وتركني ،
وقبضني خيال أسود كإنسان وصرعني ودخل في جسمي وهذا منذ عامين ، وأنا
كل يوم يريني سوء فعلي من جميع ما عملت وبقيت سيدي مقطوعا في بحر الندامة ،
إلى أن قال: وزيد من سيدنا أن يزاودنا بصالح الدعاء أن يصرف الله عني ماديها
وأن يجرحني فإني مكسور ومسلوب وأنا منتسب عليكم ومحبكم وابن محبكم وخدمكم اه

ومنهم الولي الصالح ذو السعي الرابع البركة الأجل المقدم الأفضل سيدي محمد ابن عثمان الجريدي . هذا السيد من أصحاب سيدنا رضى الله عنه المفتوح عليهم ، وقد وقفت على رسالة بخطه مباشرة بعثها إلى الفقيه سيدي محمد بن المشري رضى الله عنه وذكر له فيها بعض مرآئيه للنبي صلى الله عليه وسلم منها رؤيا رأى فيها النبي ﷺ وسيدنا جعفر وسيدنا عثمان رضى الله عنهما وذلك أنه رأى نفسه ذاهبا في بغض البلاد فلقية رجل فقال اعطني محبوا ونخبرك عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . فقال له خذه ، قال فجدني وقال لي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجدته صلى الله عليه وسلم على هيئة حسنة على زربية جيدة متوجها للقبلة قال فقال لي أنا محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبلت رأسه وركبتيه وأدخلت رأسي تحت رداءه فغشيتني رائحة أذكي من المسك فقلت له اشفع لي ياسيدي يا رسول الله . فقال لي أنا شفيع لك وللمؤمنين قال فقلت له بعد ذلك ياسيدي يا رسول الله ماذا تقول في سيدي أحمد بن سالم قال فرفع يده الشريفتين نحو ذراعين على الأرض وقال لي هكذا أعلى من الناس . فعند ذلك قال للنبي صلى الله عليه وسلم سيدي ابن سالم هل هو قريب الرحول ؟ فأجابه بقوله اثني عشر أو ثلاثة عشر وسكت ثم استيقظ ومنها رآه صلى الله عليه وسلم في محفل فقيل له هذا المصطفى هنا قال فدخلته ثم قال هذا هو نعرفه فقال له الحاضرون بالله عليك كيف تعرفه المصطفى قال نعرفه بالخاتم الذي بين كتفيه أو بوارد الحديث فرفع صلى الله عليه وسلم يده اليسرى ففستحت ثوبه عن كتفيه فوجدت شيئا من الشعر مجتمعا طويلا فقبلته ومسحت به على وجهي فقلت لهم هذا هو ثم استيقظت . ومنها أنه رآه على حاشية نهر ماء مثل النيل مع رجلين فقال واحد من الرجال هذا المصطفى فهو رأت نحوه فلقيته متربعا فقبلت باطن رجله فقلت له ياسيدي يا رسول الله بغيت الأمان فقال لي عليك الأمان فقلت له بغيت الأمان من الشيخ فأجاني بالانشاط من شيخك ؟ فقلت له سيدي أحمد التجاني فقال لي عليك الأمان منه . ثم بعد ذلك قال لي قل له قال لك محمد نهار الخميس نتلاقى بك ثم استيقظت انتهى منها مباشرة

١٠، أي الرحيل .

أبو محمد سيدي عبد الله بن حمزة العياشي
ومنهم المقدم الأجل والولي الأكمل البركة الصالح والقودة الناصح ذو المراتب
السنية والمواهب العرفانية أبو محمد سيدي عبد الله بن حمزة العياشي المعروف
بسيدي عياش . هذا السيد من أفاضل المقدمين في طريقة سيدنا رضى الله عنه الذين
أطلق لهم في التقديم وحصل الانتفاع على يدهم لكثير من خاق الله وكان عند سيدنا
رضى الله عنه بمكانة عالية في المحبة ، وقد ذكره الولي الصالح سيدي العربي بن السايح
رحمه الله في تقييد لطيف أجاب به بعض علماء تونس كما تقدم لنا ذكر نبذة منه
في ترجمة عم محمد بن الغازي رحمه الله ونص المقصود منه هنا في تنبيه ختم به التقييد
المذكور بعد أن تكلم على التقديم المطلق وهو قوله : وهنا تنبيه تتم به الفائدة عند
كل لبيب نبيه وهو أن يعلم أن هذه الإجازة المطلقة العامة الخالية عن كل قيد
وحصر بحيث يجعل المجيز لمن أجازته أن يجيز في جميع أورد الطريق اللازمة وغير
اللازمة وأن يقدم لذلك من شاء ويجعل له ذلك أيضا ولم جرا إلى آخر الدهر لم
تقع من سيدنا رضى الله عنه إلا لأفراد من خاصة أصحابه ثم ذكر جملة منهم ثم قال :
ومنهم الشيخ الولي الصالح العالم الناصح أبو سالم سيدي عبد الله بن حمزة العياشي
المعروف بسيدي عياش أحد حفدة الشيخ أبي سالم العياشي صاحب الرحلة رحمه
الله تعالى وقد طالعت إجازة الشيخ له ومن جملة ما رأيت فيها من الشروط أن
لا يصافح الملحق بيده يد امرأة ليست بذات محرم منه .

واعلم أن هذا الشرط مما ينبغي أن يكون نصب عين الموفق ، ويقوم على ساق
المجد في أدائه اتباعا لطريق الحق ويحتنب الازدحام في الموضع الذي تقف به النساء
فإن كثيرا من الناس وفقنا الله وإياهم لعمل صالح قد أهملوه ، حتى أداهم الحال إلى
اختلاط الرجال بالنساء في الزوايا وخرجوا بذلك عن حد الشريعة إلى ما لا يرضاه
الله ورسوله ولا ناهى ولا منتهى فإننا لله وإنا إليه راجعون مع كونه من أعظم
مفاسد الدين ، وقد ذكر في البغية طرفا من المفاسد التي يجب التحرز منها حتى قال
ومن ذلك أيضا حضور النساء بالقرب من خلق الذكر بحيث يسمعن نغمة الحادي
وينظرن إلى الرجال إذا كرين لما في ذلك من المفسدة المحققة عند كل لبيب نبيل ،
ولاسيما في هذا الزمان الرذيل الذي تراكت فيه الفتن ، وعظمت فيه المحن فلا يقر

على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله تعالى ، وفي الحديث

باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من إنسى قط إلا آتاه من قبل النساء .
وقال سفيان قال إبايس لعنه الله سهرى الذى إن رميت به لم أخطىء النساء والعجب
عن يقرهن على الحضور بالزاوية وجلوسهن بحيث يتوسمن وجوه الداخلين
والخارجين منها ، وبحيث يسمعن صوت الحادى وهو يعلم ما فى ذلك من المفسدة
المحققة مع ما يعلبه من سيرة سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولو لم يكن إلا ما ثبت عنه
رضى الله عنه من أنه أمر القيم على مشاربه فى الليلة التى توفى رضى الله عنه
صديقها أن يدعو ثمانية نفر من خاصة أصحابه الأتقياء الأبرار ليبيتوا معه ثم بعد
أن خرج فى طلبهم ، دعا بالقيم فقال له إني فكرت فيما كنت أمرتك به من إعلام
أصحابنا للبيت معنا فعلت أنى لا أستغنى عن الخدم والرجال والنساء لا يمكن
اجتماعهم . كان واحد ويغلب هن الظن أنه رضى الله عنه قال له وقد قال صلى الله
عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال الحديث السابق لكان كافيا فى هذا
مع ما روى عنه من أن يده لم تصافح يد امرأة قط عند التلقين للورد ، وكان يأمر
ذوى محارمهم بلقنوهن وربما لقن بعضهن بالكلام فقط ، ومن المتواتر أنه كان
لا يتركن أن يواجهنه عند زيارتهن له وطلبهن الدعاء منه ، وإنما كان يأمرهن أن
يقمن خلفه من بعد فيعلنه القائم بين يديه من أصحابه الأخيار الأتقياء الأبرار بهن
وبمطالبهن فيدعو هن كل ذلك كان يفعله رضى الله عنه متابعه لسنة وسدا
للذريعة فى هذه المفسدة التى هى لاحالة أشد بلية وأعظم فتنة (فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وما ذكرت هذا إلا أداء للنصيحة
الواجبة فى الدين وخصوصا إخواننا وأصحابنا وأهل طريقنا الذين لهم الحق
الأكيد علينا ولا أظن أن أحدا من يقف عليه يكابر فيه أو تشرئب نفسه إلى
البحث فيما تضمنه واشتمل عليه لأنه الصراط المستقيم المأمور باتباعه دون السبل
التي تفرق بمتابعتها على سبيل الحق والهوى القويم .

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ولكننا الأهواء عمت فأعمت

انتهى

ومنهم القدوة الفاضل الولي الكامل البركة الناصر السالك في طريق الحق على
أقوم المسالك المقدم الجليل أبو عبد الله سيدي محمد الهاشمي بن محمد السرخيني كان
رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين أخذوا عنه طريقه وشربوا
من مدده كأس الحقيقة وقد أجازته بالتقديم المطلق العارف بالله سيدي محمد بن
عبد الواحد بنافي المصري وهو مدفون بزاوية عين ماضي ضجيعا للواسطة المظلم
سيدي محمد بن العربي التازي الدمراوي رضي الله عنه .

سيدي الحاج محمد بن موسى التركي

ومنهم المحب في جناب سيدنا رضي الله عنه والقائم على ساق الجهد في خدمته
المتكفل بتبليغ ما يريد في سفره وغيبته الولي الكبير والعارف الشهير سيدي الحاج
محمد بن موسى التركي . هذا السيد رحمه الله كان مستغرقا في محبة سيدنا رضي الله عنه
وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضي الله عنه يطلب فيها من النبي صلى الله عليه
وسلم أن يضمن له من بعض الأحكام الجائزين وغيرهم سلامة المترجم له مع ما بعثه
معه حتى يصل لمكانه بسلامة . وهاك نصها منقولة من خطه رضي الله عنه
مباشرة وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أسأل من فضل
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن « ١ » لنا السلامة والأمان لجميع
الأبيرة التي أردنا بعثها إلى بني اصميل وجميع التمر والسمن الذي تذهب به وجميع
الزروع الذي تأتي به ومحمد بن موسى التركي وجميع بغاله وكل ما يحمل إلى داره من
تمر وسمن ونفسه وأمواله وأهله وأولاده وكافة قبيلة بني اصميل من جميع شرور
محمد باي أم عسكر وجميع مخازنيتهم وملاقاتهم بكل ما ذكرنا . ومن جميع شرور
سليمان قائد تليسان وجميع مخازنيتهم وملاقاتهم بكل ما ذكرنا ومن معاينة الجميع
للحاج محمد بن موسى التركي وبني اصميل بعد هذا لأجل القافلة ومن جميع
الظالمين والسراق والغاصبين ومن جميع المصائب والتلف والانتفلات من الآن
إلى أن تصلنا القافلة وإلى سنة في الحاج محمد وبني اصميل فإننا محتاجون إلى الزرع اه

« ١ » أي يتوجه إلى الله في ضمانها فإن دعاه مرجو القبول اه المصحح

فانظر رحمك الله كيف كان سيدنا رضى الله عنه يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجه من جميع مطالبه الخصوصية والعمومية بحيث لا يفعل شيئاً إلا عن إذنه وذلك كله لكأله وعلو مرتبته عند سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وكان في مبادئ أمر سيدنا رضى الله عنه مع أصحابه إذا طلب منه أحد تحصينه يفعل ذلك له حتى صدر له الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يحصن إلا من تحققت محبته كما هو مذكور في مشاهد الخليفة المعظم سيدى الحاج على حرازم براده رضى الله عنه ونصه: يخاطب سيدنا رضى الله عنه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، اعلم سيدى رضى الله عنه أن الجواب عما سألت عنه من التحصين للإخوان فقد قيل إنك تحصن القرية بما فيها والجماعة أيضاً بما فيها والقبيلة كذلك وتعلم أن كل فريق فيهم المحب والمبغض، فإذا حصنت الجميع كان وبال المبغض راجعاً على الذى يحصنه لأنه لم يصادف محلاً للقبول والآن لا تحصن إلا من تحقق صدقه التيام وقربه منك ومودته إليك، ولا تحصن الحلة بما فيها أو القرية بما فيها إلى غير ذلك، ولا تحصن إلا من له فيك صداقة تامة ومحبة كاملة وبر تام والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته اهـ

فبعد هذا صار سيدنا رضى الله عنه لا يحصن إلا من تحققت محبته. وأما المبغض فى الجنب الأحدى فكان سيدنا رضى الله عنه ينفر منه غاية النفور لسريان إذايته للنبي صلى الله عليه وسلم من أجل بغضه، وكان يحذر منه أصحابه ويقول الجلوس مع المبغضين سم يسرى فى صاحبه.

واعلم أن سيدنا رضى الله عنه لما تصدر للدلالة على الحق وإعطاء الطريقة المحمدية لمن طلبها من الخلق قامت قيامة الحسدة وتظاهروا بالبغض فى جنابه الرفيع عن كل شنيع فكان رضى الله عنه يدافع بالتي هى أحسن لتحقيقه بأن ذلك كله من أجل الخلافة المحمدية التى تحمل على منصتها. ولما اشتد أمر المبغضين وتعاضم هوى المنكرين ورأى أن ذلك يؤدىهم إلى الهلاك الدنيوى والآخروى لإذايتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بسبب إذايته بذلك أخذته عليهم الشفقة المجبول عليها فصار يعمل جهده واجتهاده فى خلاصهم من بغض النبي صلى الله عليه وسلم من أجله. وقد وخت على رسالة بمنطه مباشرة، بعثها على يد الواسطة المكرم سيدى محمد

ابن العربي الدمراوى رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وتحتها جواب النبي صلى الله عليه وسلم بخط الواسطة المذكور مباشرة ونهر الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . سيدى أسألك الأمان الدائم الكامل من الآن إلى الأبد من غضبك على كل من أغضبني أو غضبت أنا عليه ، وعلى كل من غيرني أو غيرت أنا عليه ، فإنه قد عظم علىّ البلاء فى غضبك ياسيدى على الناس .

ونهر الجواب الذى خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم الواسطة المكرم رضى الله عنه مجيبا لسيدنا رضى الله عنه هو لا أغضب إلا على من سبك وأراد هلاكك ومن سبك أنت والتجاني أو غاداك فأننا غاضب عليه يوم القيامة ، ومن أحبك فهو من الآمنين وهو أول من نشفع فيه يوم القيامة ولا يحاسب وأنا صافح عن أفعال من نظر فى التجاني يوم الاثنين والجمعة اهـ

سيدى الحاج محمد بن المسقم

ومنهم البركة الجليل ذو الخلق الجميل والأفعال الحميدة والمناقب العديدة أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن المسقم من أولاد العارف الكبير المعروف بسيدى الشيخ ، هذا السيد كان من خاصة أحباب سيدنا رضى الله عنه الذين ظفروا منه بالنظرة الإحسانية والعطفة الامتنانية ، وكان كثيرا ما يبعثه سيدنا رضى الله عنه إلى الواسطة المكرم سيدى محمد بن العربي الدمراوى رضى الله عنه لصدقه وأمانته ويأتيه برسائله المتضمنة الأسرار الخصوصية التى لا يقدر على حملها إلا الاتقياء الأبرار بين البرية .

وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضى الله عنه مباشرة يطلب من الله تعالى فيها حفظ صاحب الترجمة مع جملة من أصحابه نصبا :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد يارب هذه صدقة لوجهك الكريم فداه لسيدى محمد بن العربي وسيدى محمد بن الجلالى وسيدى الحاج ابن المسقم وسيدى إبراهيم بن الشيخ وخيوهم الأربعة أو الخمسة من ضرب كل طاهون ومن ربح كل طاهون وفباء وكل موت ومرض ومن إقبال الطاهون معهم إلى

الصحرَاء ، أو بسببهم وهذا فداء لجميعهم من كل ما ذكر من الآن إلى رأس ثلاثين
حاما انتهى .

سيدى بو حفص بن عبد الرحمن رحمه الله

ومنهم الولي الصالح المرشد الناصح ذو الديانة الوثقى ، والنفس السالمة من الدعوى
أبو الحسن سيدى بو حفص بن عبد الرحمن من أولاد سيدى الشيخ ، كان رحمه الله
من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وهو أحد التسعة الذين كان سيدنا
رضى الله عنه يأمرهم بقراءة التحاصين عند الأمور المهمة ، وقد وقفت في المشاهد
على ما كانوا يذكرونه مع الإشارة إلى ما كان يذكره سيدنا رضى الله عنه معهم
فقد كرم مع ذكرهم هنا تيمنا للفائدة فأقول : أولهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن
المشرى ، كان يذكر الحزب السيفي سبع مرات بين الليل والنهار ، الثانى الفقيه
الجليل السيد العباس الشرقاوى . كان يذكر بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى
الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم خمسمائة مرة صباحا ومثلها فى المساء ،
الثالث الشريف الأجل سيدى عمر الدباغ كان يذكر فى كل صباح ومساء عشرة
آلاف من قوله حسبنا الله ونعم الوكيل ، الرابع حبيب سيدنا رضى الله عنه الفقيه
السيد أبو مسعود كان يذكر لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خمسمائة مرة صباحا
ومثلها فى المساء ومن آية الكرسي مائة صباحا ومثلها فى المساء ، الخامس صاحب
الترجمة كان يذكر بسم الله الرحمن الرحيم يا حفيظ يا منيع يا لطيف حسبنا الله ونعم
الوكيل خمسمائة فى الصباح ومثلها فى المساء ، السادس البركة الجليل السيد أبو سماحة
كان يذكر ألفا من قوله يا لطيف فى الصباح وألفا فى المساء ، والسابع الشريف
الأمجد سيدى عبد الواحد بو غالب كان يذكر كل يوم مائة من جوهرة الكمال ، الثامن
البركة الجليل سيدى الحاج على . أملاص كان يذكر خمسين من آية الكرسي صباحا
ومثلها فى المساء ويذكر بعد التحسين بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلی العظيم حسبي الله من كل شئ الله يغلب كل شئ . ولا يقف لأمر الله شئ .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل يذكرها سبعا ، التاسع
بركة السيد الحاج عبد الرحمن براده كان يذكر فى الصباح ٢١ مرة من قوله
احتجبت بنور وجهه الله القديم الكامل وتمصنت بحصن الله القوى الشامل وربيت

من بقى على "بسهم الله وسيفه القاتل اللهم يا غالباً على أمره ويا قائماً فوق خلقه ويا حائلاً بين المرء وقلبه حل بينى وبين الشيطان ونزغبه وبين ما لا طاقة لى به من أحد من خلقك ، كف ألسنتهم واغلل أيديهم وأرجلهم واجعل بينى وبينهم سداً من نور عظمتك وحجاً با من قدرتك وجندا من سلطانك إنك حى قادر . اللهم أعش عني أبصار الناظرين حتى أرد الموارد واغش عني أبصار النور والظلمات حتى لا أبالى بأبصارهم يكاد سنى برقه يذهب بالأبصار يقرب الله الليل والنهار ، وبعدها سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ومثل ذلك فى المساء ، وأما سيدنا رضى الله عنه فإنه كان يذكر معهم فى التحصين دائماً حزب البحر للإمام الشاذلى رضى الله عنه وهو مشهور ، فلا تطيل بذكره ، ويذكره بعده قصيدة العارف بالله الشيخ البكرى رضى الله عنه المشهورة ونصها :

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها	يعلم هذا كل من يعقل
فمذبه من كل ما تشكى	فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به فى كل ما ترجى	فإنه المأمّن والمعقل
وحط أحوال الرجا عنده	فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم المضل
يا أكرم الخلق على ربه	وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة	فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذى خصلك بين الورى	برتبة عنها الملا تنزل
عجل بإذهاب الذى أشتكى	فإن توقفت فمن أسأل
لحيلتى ضاقت وصبرى انقضى	ولست أدرى ما الذى أفعل
ولن ترى أعجز منى فما	لشدة أقوى ولا أحمل
فأنت باب الله أى امرى	أناء من هيرك لا يدخل
عليك صلاة الله ماصالحت	زهر الروابي نسمة شمأل

مسلمها مافاح عطر الحمى وطاب منه الند والمنسل

والآل والأصحاب ماغردت ساجدة أملودها مخضل

وقد وقفت على أبيات لصاحب سميدنا رضى الله عنه العلامة الجليل سيدى
إبراهيم الرياحى رحمه الله جعلها افتتاحا لهذه القصيدة منها على الدخول عليها وهى
موافقة لعدد أبيانها وهما ك نصها :

حمدا لربى قبل ما أسأل	وكل عال دونه أسفل
ثم صلاة الله من بعدها	أذكى سلام عاطر يرسل
أهديهما للنصطفى المجتبى	وكل من فى دينه يدخل
هذا وما للعبد لاسيما	من ظهره بذنبه مثقل
إلا حمى طه شفيع للورى	فى موقف أهواله أهول
يوم يقول الرسل أنت لها	وكلهم من هوله يوجل
فعندها ينهض خير الورى	يحمد رب العرش إذ يسئل
إذا النداء من ربه ذى العلا	محمد بلغت ما تأمل
ففرج الله به كربهم	وكم به من كربة تحذل
وعبدك الراجى له كربة	أعنى علاجى داؤها المعضل
إنى أرى البحران لى واصل	وإن فى البحران ما يقتل
فبالذى حلاك من نعمة	أبهى حلى لم يعطها مرسل
وحلة الرحمن مع رافة	يتلى علينا نصها المنزل
صلنى لوجه الله حتى ولو	لم أكن أهلا للذى أسأل
لجودك الغيث أما إنه	فى كل أرض مطلقا ينزل
ونورك الشمس وماضوءها	يختص ما يختص بل يشمل
هذا وظنى فيك مكتمل	وأنت عند الظن بل أكمل
ورحمة الله على قائل	منه علا فى حقك المقول

ما أرسل الرحمن إلى آخر القصيدة المذكورة وقد جرت على لسانى قبل هذا
الوقت أبيات موافقة للقصيدة المذكورة فى وزنها وعددها لا بأس بذكرها هنا وهى:
مالى سوى خير الورى موئل من كل ما يذعر أو يذهل

فهو الذي في الكون مأمثله
إن كان للإرسال فضل بدا
من أجله الأملاك قد طأطأت
لولاه ماقد كان هذا الوري
في كل محمود يرى أولا
مفتاح أقفال الهدى والرضى
مغلاق أبواب الهوى والردى
من وجهه بدر الدجى مشرق
ماظله في الأرض حقا يرى
إن مر بين الناس تمنو له
والدوح لما أن دعاها أقم
ماهو إلا البحر لكن حلا
ماهو إلا نهج باب الهدى
فلذ به إن رمت نيل المنى
صلى عليه الله دون انتها
مع آله أهل العلا والبا
مسليا ملاح فوق العلا

وقد بلغني أن سيدنا رضى الله عنه كان كثيرا ما يدعو في أموره الخصوصية
بخصيدة توجد عند بعض الخاصة من أصحابه وقد وقفت عليها إلا أنها كثيرة
التصنيف مطالعها :

دهوتك يا الله والدمع دافق
وحالى لا يخفى عليك وليس لى
وعبرى تقضى والغصوم تزاحمت
بوائق أزمانى لدى تزاحمت
طوارق لوحاتى طرائق عسرتى
وأنت وعدت السائلين إجابة
وحبل رجائى فيك يارب واثق
سواك لتفريج الكروب يوافق
وإن لم تداركنى فإنى وابق
خوائق أزمانى على حوائق
حوازق أسقامى سهام رواشق
وحلك واسع ووعدك صادق

فإني مضطر وعجزى ظاهر وإني محتاج وجودك سابق
إلى أن قال فيها :

أغثنى أغثنى يا مجيب ومنقذه
أجبنى أجبنى يا إلهى وسيدى
أقلنى أقلنى إلتقى منك شافق
أنلنى الأمانى إلتقى فيك وامق الخ
ولم يثبت عندي صحة ذلك والله أعلم
السيد على بن الشستوي

ومنهم العارف الكبير إلولي الشهير المجذوب السالك الذاكر الناسك الشريف
الأصيل أبو الحسن سيدى على بن الشستوي من خط الجريد ، كان رحمه الله
مشهورا بالولاية مشهورا له بالمعرفة الكبرى الملحوظة بعين العناية وكان كثيرا
ما يجتمع بروحانية شيخ الشريعة والطريقة ومنبع الأسرار والحقيقة مولانا
عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه ، واتفق له يوما ما حدثني به سيدى
أحمد العبد لاوى رضى الله عنه أنه كان مولعا بالصيد وفى ذات يوم اصطاد غزالا
فبينما هو مشغول به إذ أتاه الشيخ عبد القادر راكبا على فرسه فاستحيا منه أن يراه
على الحالة التى رآه عليها وكان آخذا طريقته . فصار يتكلم معه إلى أن قال صاحب
الترجمة للشيخ المذكور ياسيدى سمعنا شيخا ظهر بأبى سمغون فماذا تقول فيه فقال له
رضى الله عنه : يا ولدى تلك للشجرة التى نستظل تحتها فكان هذا سيبا فى أخذه من
سيدنا رضى الله عنه طريقته

السيد زعنون

ومنهم المقدم الأجل القدوة الأفضل الملاحوظ بعين العناية المتصدق على منصة
الولاية أبو عبد الله السيد زعنون من عمالة الجزائر أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله
عنه وقدمه لأعطاء طريقته المحمدية ، وكان رحمه الله رجلا ذا قوة موصوفا
بالشجاعة الهاشمية واتفق له يوما مع سيدنا رضى الله عنه حين كان رضى الله
عنه بالأغواط ما حدثني به بسيدى أحمد العبد لاوى أن سيدنا رضى الله عنه كان
الغالب عليه إذا أتى للأغواط أن ينزل خارجها فبينما هو خارج يوما ومعه جماعة
من أصحابه من جملتهم صاحب الترجمة إذ وصل إلى الساقية المعروفة هناك بالبذلة
فوقفت البغلة التى عليها سيدنا رضى الله عنه راكب وحرنت ولم تستطع المرور بل

صارت تقدم رجلا وتؤخر أخرى حتى كادت أن تسقط على وجهها فأتى صاحب الترجمة إلى سيدنا رضى الله عنه ورفع عنه عن سرج بغلته وقطع به الساقية بقفزة فصار سيدنا رضى الله عنه يبتسم من ذلك ودعا له بما عاد عليه نفعه دنيا وأخرى .
وحدثني بعض إخواننا من أهل شنجيط وهو الفقيه الأديب السيد الشيخ ابن محمد بن الشيخ العلوى كما حدثه شيخه العلامة سيدى أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه أن صاحب الترجمة قبل أخذه الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه كان من قطاع الطريق الذين تشكت منهم البرية ولم يقدر أحد على مدافعتهم إذا برز إليه ولم يعرف بفعل خير قط فانفق أن مات مقدم من مقدمى بعض زوايا سيدنا رضى الله عنه فاجتمع الفقراء وأخبروا سيدنا رضى الله عنه بوفاة مقدمهم وأنهم يريدون منه أن يقدم عليهم مقدما ، فقال لهم الشيخ رضى الله عنه إني قدمت عليكم زعنون تخرجوا متعجبين من ذلك وقصدوا الموضع الذى يقطع فيه الطريق ويترصد الرفاق حتى وصلوا إليه ووجدوه مع بعض البغاة أمثاله فقالوا له إن شيخنا سيدى أحمد التجانى قد جعلك مقدما على زاويتنا ، فبمجرد ما سمع منهم ذلك أخذه حال عظيم وصار يبكى وفتح عليه فى الحين مع أنه لم يقدم خيرا قبل ذلك وما ذلك إلا بنظرة سيدنا رضى الله عنه وحمته النافذة ، وإلى هذه القضية يشير حسان الطريقة السيد محمد بن سيدى الشنجيطى العلوى فى قصيدة مدح بها سيدنا رضى الله عنه معلما :

حى دارا لدى أبى سمغون واسقها من مصون ماء الشئون
واسق دارا تبوات عين ماضى بمعين من الدموع سخين
شغف القلب حبها لاربوع عند أصل القناة من جيرون
قف بتلك الديار وابك وعفر بينها الخد قبل ريب المنون
إلى أن قال فى آخرها فى مدح سيدنا رضى الله عنه ووصف همته :

همته ردت الغواة إلى الرح من حق انتهت إلى زعنون
المقدم الحاج عبد الرحمن بن الحاج ناجى

ومنهم المقدم فى صدر المحافل الجامع لشتات الفضائل أبو البركات السيد عبد الرحمن بن الحاج ناجى من عمالة الجزائر قدمه سيدنا رضى الله عنه لتلقين

طريقته المحمدية ولم تحل بها لبر الترك وأعطاها في أربع بلدان هناك كما وقفت على ذلك في رسالة بعثها قريب سيدنا السيد المختار بن محمد التجاني إلى سيدنا رضى الله عنه ووصفه فيها بالحزم الشديد والقيام التام في أداء أمانة الطريقة على أحسن ما ينبغي إلى أن توفي رحمه الله .

السيد سليمان بن سعد

ومنهم العلامة الجليل والفهامة المثل أبو داود السيد سليمان بن سعد الأغواطي كان من أفاضل الأصحاب الذين تعلقوا بأذيال سيدنا رضى الله عنه وكان على الطريقة الناصرية في أول أمره ثم تخلى عنها ، وأخذ عن سيدنا رضى الله عنه طريقته المحمدية ولقنه أذكارا خصوصية منها تلاوة الفاتحة بنية الاسم الأعظم كل يوم ستين مرة ، وكان كاتباً بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه عند ولده سيدى محمد الحبيب وخلفه في الكتابة عنده بعد وفاته سيدى أحمد العبدلارى وهو مدفون بناحية هين ماضى رحمه الله .

السيد أحمد بن عساكر الجزائرى

ومنهم ذوو السيادة الكبرى والمجاهدة الغرا والرتبة الرفيعة والمكانة المنيعة أبو العباس سيدى أحمد بن عساكر الجزائرى ، هذا السيد رحمه الله من ذوى البيوت المشيدة في أفق السيادة بمن لهم السطوة بتلك النواحي وكان مستغرقاً في محبة سيدنا رضى الله عنه وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه لما تحققه فيه من صدق المحبة الثانية ، وبلغنى عنه أنه كان يطلب من سيدنا رضى الله عنه أن يضمن له الوصول لمرتبة العارف الكبير الولي الشهير أبى زيد سيدى عبد الرحمن الشعالي رضى الله عنه وسيدنا رضى الله عنه يحذره من ذلك إلى أن أجابه يوماً لمطلوبه وقال له يكون ذلك على شرط قبولك لبلوى مقامه فقال له ياسيدى قد قبلت ذلك و فكان من قدر الله ما وقع له مع الترك حتى أدام الحال إلى قتله ، واتفق له في المدة التي قدم فيها لفاس لزيارة سيدنا رضى الله عنه أن اجتمع بالمجذوبة الشهيرة الشريفة لال منانة شنيوره رضى الله عنها فكان أول مكاشفاتها له أن سمته باسمه وذكرت له أموراً إلى أن قالت له إن الإذاية تأنيك من بستانك فاتفق له لما وصل للجزائر أن ذهب الترك لبسنانه بالجزائر فوجدوا فيه أموراً أغرتهم على قتله رحمه الله .

ومنهم علامة عصره ووحيد مصره ذوالعلوم الزاخرة والمناقب الفاخرة
أبو عبد الله السيد سحنون بن الحاج الأغواطي ، كان من هلباء الطريقة الفحول
المرجوع إليهم في على المعقول والمنقول ، أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه
وورد من كثره العذب الزلال ما من أجله غبطه أكابر الرجال وقد كان سيدنا
رضي الله عنه يكتبه ، وقد أخبرني بعض الثقات أنه رأى في رسالة التحدث بما
أنعم الله به على سيدنا رضي الله عنه التي بعثها إلى فقراء الأغواط صاحب الترجمة
مصدرا به فيها وهي مذكورة في جواهر المعاني ونصها بعد البسملة والصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ، بحمد الله يصل الكتاب إلى يد أحبائنا وأصفيائنا
فلان وفلان وكافة الفقراء الذين معه بالأغواط كل واحد باسمه وعينه ، السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته . من كتابه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني
وبعد : نسأل الله عز وجل أن يتولاكم بعنايته وأن يفيض عليكم بحور فضله
وولايته وأن يكفيكم هم الدنيا والآخرة وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة
ياي إعلمكم أن فضل الله لا حد له وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأقول لكم

إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا
من كبر وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفع في الصور ليس فيهم من
يصل مقامنا ولا يقاربه لبعده مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه عن أكابر
الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا وليس لأحد من
الرجال أن يدخل كافة أصحاب الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب
ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ، ووراء ذلك نذكركم فيهم
وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم أمر لا يحمل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في
الآخرة ومع هذا كله فلسنا نستعزي بحرمة ساداتنا الأولياء ولا نتهاون بتعظيمهم
فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمة
ومن أهانهم أهان الله وغضب عليه ولا تستهينوا بحرمة الأولياء والسلام اهـ

وقد وقفت على رسائل بخط يمينه

١٥ ذكر أنه سأل الله عز وجل أن يمن عليهم بالتوبة والولاية قبل الموت .

ومن أولاده السالكين نهجه في هذه الطريقة المحمدية الكوكبان المنيران
الفاضلان الكبيران سيدي محمد والسيد أحمد ، كان سيدنا رضى الله عنه يحبهما
ويدعو لهما بالصلاح والفلاح والظفر بالنجاح لصدق محبتهم ومحبة والدهما في
الجناب الاحمدى ، واعلم أن أهل الأغواط في زمن سيدنا رضى الله عنه ينقسمون
إلى قسمين الأول يحبهم سيدنا رضى الله عنه ويحبونه وهم أولاد سرخين والقسم
الثاني الأحلاف ابتلاهم الله ببغض سيدنا رضى الله عنه وقد سماهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالمشعبين كما رآه بعضهم وقال له ذلك ازدرأ بهم كما حدثني بذلك سيدي أحمد
العبد لاوى رضى الله عنه ، وأما الآن فقد امتزجت دماؤهم بحب الشيخ رضى الله
عنه وصاروا يدخلون في الطريقة المحمدية أفواجا أفواجا . وفقنا الله وإياهم لما يحبه
ويرضاه ، ووقفت على كلام في رسالة يخط العارف بالله سيدي محمود التونسي
رضى الله عنه بعثها إلى سيدنا رضى الله عنه يطالب فيها من سيدنا رضى الله عنه
الرضى عن أصحابه أينما كانوا خصوصا بعض الإخوان القاطنين بالأغواط وغيرهم
من ذكر . ونص ذلك بعد كلام والمؤكد به أيضا على سيدنا التاكيد الحى أن
ترضى على أصحابك وتعفو عنهم حيث ما كانوا وتكاتبهم جميعا أهل تاجوت عموما
وخصوصا وبنى الأغواط وأولاد السايح ، وأهل سوف والأرباع كلهم والحجاج
صاروا أحبا با ، ولا أعضلهم عن مكاتبك إلا الخوف منك لما يبلغهم عنك ،
وأنك تبرات منهم وأسلفتهم من محبتك وقد أهدى أمرهم من جانبك كثيرا كثيرا
أرحمهم سيدي الله من ذلك الغضب وفرحهم برضاك عظم الله قدرك وإن كان ولا بد
اجعلنى مكانهم سيدي وافضب عني الغضب السكى دنيا وأخرى وارضى عنهم
رضاء تاما دنيا وأخرى ، فإنهم أحباب الخ .

فانظر رحمك الله إلى الإخوة الحقيقية كيف أداه الحال حتى طلب الهلاك
لنفسه والرضى للإخوان رضى الله عنه وأرضاه .

السيد أحمد بن معمر الأغواطى

ومنهم المتوج بتاج الولاية المحوط بعين الرعاية والفضل العميم والخلق العظيم
أبو العباس السيد أحمد بن معمر المروفي بابن سالم الأغواطى ، هذا السيد الجليل

من سبقت لهم العناية الربانية والمواهب العرفانية والعطفة التجانية ، وكان من
أفاضل الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد بلغنى على لسان الثقات من
طرق شتى أن سيدنا رضى الله عنه لما وصل للأغواط واجتمع عليه جماعة من
أصحابه القاطنون هناك منهم العارف الكبير السيد أحمد الأخضر بن محمد بن شيبه ،
وكان من أعيان تلك البلدة والولى الكامل سيدى عيسى بن خراز وغيرهما ، فقال
سيدنا رضى الله عنه مخاطبا لتلك الجماعة إني أتيتكم بلقمة من فاس وأنا أريد أن
أدفعها لكم فقال له السيد أحمد الأخضر المذكور ياسيدى اللقمة التى أردت أن
تعطينا فأعطها لهذا الولد وأشار لصاحب الترجمة فحينئذ دعاه الشيخ رضى الله عنه
وجعله بين جناحيه وانحنى عليه فغاب عن حسه ثم أخرجه الشيخ رضى الله عنه
ووضع يده الشريفة على رأسه وقال رضى الله عنه الله يمنعك من الحقر والفقر
وهذاب القبر ويطلع على قلبك بالولاية فمن ذلك الوقت حصل لصاحب الترجمة الفتح
الكبير والمعرفة الكبرى كما يشهد له بذلك الخاص والعام ممن عرفه وهو الذى قال له
الشيخ رضى الله عنه أعطه الله كما فى الإفادة حين سأله عن عادة أسلافه مع بعض
الاولياء ، وذلك على ما بلغنى أنه قال للشيخ رضى الله عنه ياسيدى إن أسلافنا على
ما أدركناهم عليه كانوا يعطون فى كل عام شيئا من الشعير لأولاد سيدى عبد القادر
ابن محمد القطب المشهور دفين القرية المسماة بالأبيض ، فاذا تأمرنا به فى عاداتهم ،
فقال له سيدنا رضى الله عنه أعطوا واركوا كررها ثلاثا فأعاد صاحب الترجمة
السؤال ثانيا وقال له ياسيدى إن المرید إذا خالف شيخه يهل به الهلاك فأخبرنا بما
نفعل فقال رضى الله عنه : من أراد أن يعطى شيئا فليؤوه الله .

وبلغنى على لسان الثقة أن صاحب الترجمة قيل له وهو جالس مع جماعة من
الإخوان كانوا يسردون جواهر المعانى بداره : إن بعض المبغضين قد نقص الشيخ
وأصحابه وهو يحضر لسماع جواهر المعانى معنى . فقال صاحب الترجمة للجماعة
الحاضرة اعلوا أنى قد سمعت من سيدنا الشيخ رضى الله عنه يقول للأحباب إذا
سبى أحد بين يدي أحدكم وكان قادرا فليقتله . وإلا فليقم من ذلك المجاس ويذره
وأنا اليوم قد حكمتنى الله فيكم فوالله العظيم وحق قدر الشيخ سيدى أحمد إني إن
سمعت أحدا يذكر جانب الشيخ بما ينقصه حتى أذوب فى فيه الرصاص .

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ مَعَ الْقُطْبِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي الْحَاجِّ عَلِيِّ التَّمَّاسِينِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْعَارِفُ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ الْعَبْدُ لَاوِي تَقَعْنِي اللَّهُ بِهِ أَنْ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ مَرَاتِيهِ قَبْلَ الْوَاقِعَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بَيْنَ أَوْلَادِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالتَّرِكِ ، كَأَنَّهُ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثَ خِيَمٍ وَالطَّيْنِ مِتْرًا كَمْ بِنَاحِيَّتِهَا وَرَأَى سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَهُ قُلْ لَهُمْ خَذُوا خِيَمَةً وَاجْعَلُوهَا فِي غَرْبِ الْأَغْوَاطِ وَخِيَمَةً لَشَرْقِهَا وَاتْرَكُوا الْآخَرَى حَتَّى يَذْهَبَ الطَّيْنُ قَالَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَلَمْ أَخْبِرْ أَحَدًا بِمَا رَأَيْتُ قَالَ فَاتَّفَقَ أَنْ جَاءَتْ فِي صَبَاحِ يَوْمِ الرُّؤْيَا رِسَائِلٌ مِنْ حَاكِمِ التَّرِكِ إِلَى أَوْلَادِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ لِيَتَبَرَّكَ بِهِمْ ، وَقَصْدُهُ شَيْءٌ آخَرٌ فَاجْتَمَعَ الْأَصْحَابُ الْحَاضِرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَقَدِمَ الْقُطْبُ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَصَارُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَمَاذَا يَفْعَلُونَ ؟ هَلْ يَتْرَكُونَ أَوْلَادَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ أَوْ لَا وَيَنْظُرُونَ فِي عَاقِبَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقَالَ لِلْجَمَاعَةِ الْحَاضِرَةِ صَاحِبُ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْأَخْضَرُ إِنْ ذَهَابَهُمْ هُوَ الْأَوَّلَى وَالْآسَلَمُ مِنَ الْجَهْتَيْنِ فَقَالَ لَهُ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِجَلَالِ كَيْفِ تَرِكَ أَوْلَادَ الشَّيْخِ يَذْهَبُونَ إِلَى التَّرِكِ يَلْعَبُونَ بِهِمْ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

ثُمَّ إِنْ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّفَقَّتْ إِلَى صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ وَقَالَ لَهُ : قُلْ لَنَا مَا قَالَتْ لَكَ الشَّيْخُ أَنْ تَقُولَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَخْبَرَ أَحَدًا بِمَا رَأَاهُ لِحَدِّثِهِمْ بِالرُّؤْيَا كَمَا سَلَفَتْ فَتَعْجِبُ السَّامِعُونَ ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى هَدْمِ ذَهَابِهِمْ .

ثُمَّ إِنْ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَ سَيِّدِي مُحَمَّدَ الْكَبِيرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى تَمَّاسِينَ ، وَبَعَثَ سَيِّدِي مُحَمَّدَ الْحَبِيبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي سَمْعُونِ وَهُمَا الْخِيَمَتَانِ اللَّتَانِ أَمَرَ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَقْلَهُمَا لَغَرْبِ الْأَغْوَاطِ وَشَرْقِهَا . وَتَرَكَ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْلَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَيْنَ مَاضِي وَفَقَ الرُّؤْيَا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : كَيْفَ تَرِكَ أَهْلَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِعَيْنِ مَاضِي وَالْأَعْدَاءُ سَيَفْتَكُونَ بِهَا فَقَالَ سَيِّدِي الْحَاجُّ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْهِمْ ، فَاتَّفَقَ أَنْ جَاءَتْ التَّرِكُ إِلَى هَيْئِ مَاضِي لِبَطْشِ بَآهْلِهَا فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذْ حَصَلَتْ لَهُمْ زَلْزَلَةٌ دَمَرَتْ جَمْعَهُمْ وَرَجَعُوا مِنْكَسِرِينَ بَعْدَ أَنْ خَرِبَتْ عَيْنَ مَاضِي وَحَفِظَ اللَّهُ أَهْلَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدَارَهُ الْمُعْظَمَةَ مِنْهُمْ ، وَلَمَّا انْجَلَى ظَلَامُ تِلْكَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ عَيْنِ مَاضِي

والترك أمر سيدنا الحاج علي رضي الله عنه أن يرجع أولاد الشيخ رضي الله عنه
إليها فذهبوا إليها فوجدوها منهزمة فأرادوا الرجوع إلى الموضع الذي كانوا فيه
لما رأوه من خرابها فأمر القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه الفقراء ببنائها
وعمارتها فقام صاحب الترجمة على ساق الجند في ذلك حتى تم أمرها على أحسن
ما يكون . وقد وقفت على طرف رسالة من سيدنا الحبيب رضي الله عنه بعثها إلى
القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه يذكر له اجتهد صاحب الترجمة في ذلك مع
شرح الواقع ونصه كما هو منقول من خط بعض أحفاد صاحب الترجمة رضي الله
عنه . وبعد : فالذي أعلم به سيدنا رضي الله عنه وأرضاه أنه لما وصلنا كتابك صعبة
الحاملين فلان وفلان وأمرتنا فيه ببناء حين ماضى فخرجنا صبيحة اليوم الذي
وصلنا فيه كتابك قاصدين حين ماضى وبوصلنا إليها شرعنا في بنائها بحول الله
وقوته ، ولقد وجدناها خربة لافائدة فيها حتى هم كثير من الناس بالرجوع عن
بنائها لما رأوه من خرابها ودهشت الناس من ذلك ، فاستعنا بالله ثم بالنبي صلى الله
عليه وسلم ، وبسيدنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وبكتابك وإذنك في ذلك فلما
شرعنا في البناء رأينا العجب العجيب من خرق العادة فكماناها بأجمعها وأبراجها
وأسوارها في عشرة أيام فقط ، نخدم كل يوم من الصباح إلى القيلولة ونقيل إلى
صلاة الظهر ونشرع في الخدمة حتى تبقى نصف ساعة على الغروب ، نفرق لعشائنا
ومع هذا فالراحة التي وجدناها والسرعة في بناء السور لم نرهما قط والحمد لله ،
ولكن ياسيدي الظاهر الذي عندنا لولا الشيخ أحمد بن سالم لم نجد في كافة الناس
من يرفع معنا حتى حجرة واحدة ، ولقد نصح في هذا الأمر غاية النصع وقدم معنا
بأولاده وزاده ومكث معنا حتى كملت بجميع أسوارها ، وقصة الزرع الدار فلم نجده
بوجه ولا بمال وعز علينا الكيل من كل جانب . فلما رأيت ذلك بعثت لأحمد بن
سالم وقلت له كذا وكذا فقال علي ما يخصكم وكل ما تطلبونه موجود جزاء الله عنا
خييرا إلى قال : وأيضا لم نجد من يسكن معنا في حين ماضى لا بعيدا ولا قريبا لما كملت
قلنا لأحمد بن سالم سيدي الحاج علي رضي الله عنه قال لنا كذا وكذا فقال لنا نعم
ذلك هو الصواب لجمع بني الأغواط كلهم بين أيدينا وقال لهم تذهبون لعين ماضى
وتعمرونها بعبالكم وما أنا ذاهب إليها بنفسى أسكنها الله ولرسوله فلما رأوا الجند

عنه امتثلوا لأمره طوعا وكرها وعينوا أربعة وخمسين عيالا يسكنون في عين
ماضي هاهي وصحتنا والحمد لله وسكن هو بنفسه معنا وأتى بأولاده وعياله لعين
ماضي وجميع أئاثه وصل وهو قادم في هذين اليومين علينا جزاه الله عنا خيرا .
والحاصل الأمر الذي ظهر لنا منه هذه المرة لم يظهر لنا في حبيب قط ولكن كل
شيء من سيدنا رضى الله عنه وأرضاه إلا أننا نخبرك بالظاهر وأما الباطن فإنا
نعلم لولا سيدنا رضى الله عنه وأرضاه لم يكن شيء من جميع ذلك هو الذى نفخ
فيه وتوجه له حتى صار لا ينظر إلا لمصالحنا وخواطرننا فقط الخ

ونص ما يتعلق بصاحب الترجمة من جواب القطب سيدى الحاج على رضى الله
عنه لسيدنا الحبيب رضى الله عنه وقولك على محبنا وصديقنا ورفيع المسكاته هندنا
وفي قلوبنا الشيخ أحمد بن سالم لقد بذل جهده معنا غاية البذل الخ
ذاك قسم إلهي أعطاه الله له كان سابقا في الأزل وكان سيدنا الشيخ رضى الله
عنه في حياته يحبه غاية المحبة ، ولقد سمعنا منه رضى الله تعالى عنه يقول لم أحب
أحدا حتى يظهر لنا أن الله ورسوله يحبانه ولم أصرف عن أحد حتى يظهر لنا
أن الله ورسوله ضرفا عنه الخ

وبلغنى عنه أنه لما توفي رحمه الله في رجب الفرد سنة ١٢٦٨ هجرية ودفن جاء
سيدنا الحبيب رضى الله عنه في خامس يوم بعد دفنه ووقف على قبره وأمر
بأنصراف من كان حاضرا هناك وجلس رضى الله عنه عند رأسه مستقبل القبلة
ومكث نحر ما يقرب من ساعتين والمقدم ابن المشرى ريان رحمه الله جالس وراءه
فلما قام رضى الله عنه قال للمقدم المذكور إني فعلت له شيئا لو كان في النار لخرج
منها فسبحان المتفضل بما شاء على من شاء من عباده .

الشریف سیدی عیسی بن خراز الاغواطی

ومنهم الورع الزاهد الذى هو فى مراقى الولاية صاعد ذو القدر العلى والفضل
الجلی أبوالمكارم الشریف الاصيل سیدی عیسی بن خراز الاغواطی ، هذا السيد
رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين تصدروا على كراسى
السيادة وقاموا على ساق الجد فى بساط العبادة وكان محبوبا عند سيدنا رضى الله
عنه محبة خاصة لما أولاه الله من الهمة التى لا ترضى بسفاسف الأمور بين العامة

والخاصة وكان معروفاً بالزهد والورع واتفق له مع بعض أكابر الأغواط أن أتاه بدراهم مائة من الزكاة ودفعتها إليه فردها عليه وقال له إن كانت هدية فنعم وإلا فلا وهكذا تكون همة الشرفاء الراقين في المجد للذروة العليا لا يقبلون إلا ما كان طيباً وأما أوساخ الناس لا يرضون بها بل لا تحمل لهم .

وقد سئل سيدنا رضى الله عنه هل تحمل الصدقة لأهل البيت أولاً ؟ فأجاب رضى الله عنه إنها لا تحمل لهم إلا في حالة الاضطرار قال صلى الله عليه وسلم : إن الصدقة لا تحمل لمحمد ولا آل محمد ،

وفي البخارى : إن آل محمد لا يأكلون صدقة . ولا منازع في هذا .

ويؤخذ من هذا أن جميع المؤمنين من بنى هاشم داخلون في التطهير الذى فى الآية لأن الصدقة ما حرمت عليهم إلا لكونها أوساخاً وهم مطهرون من الأوساخ والدلة لا تفارق معلولها كما هى قاعدة عند أربابها فإذا فهمت هذا فلا قلت لكلام من أباح لهم أخذ الصدقة مستنداً لعدم إعطائهم من بيت المال لكثرة فقرهم وغفل عن حلة المنع التى هى تطهيرهم وهو باق فيهم إلى قيام الساعة لا ينقطع وهو مذهب أهل الحق رضى الله عنهم ، والحديث المتقدم أيضاً ثابت فلا يعارض بكلام العلماء . فإذا فهمت هذا فاتباع النص القطعى أولى من تأويلات العلماء ، ولأجل محبة القائل فى أهل البيت ومودتهم أباح لهم الصدقة فلو كان حبه صادقاً لكان متبعاً له صلى الله عليه وسلم فى فعله وقوله وكان ممثلاً لقوله عز وجل (فاتبعوني يحببكم الله) فعند ذلك تصح لهم دعوى المحبة ثم يأمر الناس بالإعطاء لهم من غير الصدقة بل من أموالهم خاصة فهذه علامة محبتهم ، وأما من خالف أمره صلى الله عليه وسلم فلا محبة وإن كان يدهيها فافهم ترشداً هـ

وبلغنى عن صاحب الترجمة أنه كان كثيراً ما يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وفى اليقظة أيضاً وقبره مشهور بالأغواط .

الفقيه السيد أحمد بن إسماعيل الأغواطى

ومنهم الفقيه الأستاذ العلامة النقاد ذو البصيرة المنورة والنفس المطهرة البركة الأجلد أبو العباس الشيخ أحمد بن إسماعيل الأغواطى . كان من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين فازوا بالمعطفة الربانية والنظرة الإحسانية ، وقد كان سيدنا

رضى الله عنه يحبه ويشئ عليه ، وقد وقفت على رسالة بخطه يطلب فيها من سيدنا
رضى الله عنه الإذن في صلاة الفاتح لما أغلق وفي الفاتحة وسورة القدر بأن يذكرها
عددا مخصوصا دبر الصلوات والإذن في آية الكرسي للتحصين ولم أقف على الجواب
وكان رحمه الله آية من آيات الله في التجويد وتضرب بحسن صوته الأمثال .

وقد بلغني على لسان الثقة أنه كان يوما في المسجد العتيق بالأغواط قبل طلوع
الفجر جالسا يتلو القرآن الكريم سرا وكان بالمسجد المذكور صاحب سيدنا رضى الله
عنه السيد عيسى بن خراز رحمه الله يذكر فينبأ هو كذلك إذ رأى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له قل لأحمد بن إسماعيل يرفع صوته بالقرآن فقام إليه وأخبره
بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فشرع صاحب الترجمة يتلو جهرا بصوت كانه
مزمار من مزامير داوود عليه السلام أمثالا للأمر الشريف ١٥

سيدى العربى الأشهب

ومنهم الولي الصالح ذو السعي الرابع والمحبة الصادقة والكرامات الخارقة والقدر
الجليل والفضل العلي أبو السعادة سيدى العربى الأشهب ، هذا السيد رحمه الله من
أخص أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا عنده من المقربين الملحوظين بعين
المودة عند جميع أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد كان سيدنا رضى الله عنه يبعثه
لقضاء مهماته الضرورية وأغراضه الخصوصية حتى أنه لا يروح عن باب دار سيدنا
رضى الله عنه إلا بإذن سيدنا رضى الله عنه ، وكان قائما في النفقة على دار سيدنا
رضى الله عنه وبأمره سيدنا رضى الله عنه بأن لا يشرى مما يحتاج إليه في النفقة إلا
الحسن النفيس من كل شيء . وكان لا يتهاون بأمر سيدنا رضى الله عنه ولو أداه الحال
إلى السفر لقضاء كل وطر .

وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضى الله عنه مباشرة يخاطب فيها جملة من
أحبائه خصوصا صاحب الترجمة نصبا .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . بعد

١٥ اتفقت كلمة العلماء على تدريس العلم الشرعي في المساجد والقرآن هو الجامع
العلوم وهو أصل العلوم ، وقد ثبت في الحديث الحضر على قراءة القرآن ومدارسته
في بيوت الله ولا يكون ذلك إلا جهرا . والقرءان درس الله عز وجل أولى

حمد الله جل جلاله ، عز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب
إلى أيدي أحبائنا ورفعاء المكاتة من قلوبنا سيدي الحاج الطيب وسيدي هاشم بن
معزوز وأخيه وسيدي الحاج علي ، املاسن وسيدي العربي الأشهب وكافة من في
حضر تكمن من الاحباب . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، من كاتبه إليكم
العبد الفقير إلى الله عز وجل أحمد بن محمد التجاني وبعد فالسؤال منا عن أحوالكم
أجراها الله على طبق رضاه ، ونسأل الله عز وجل أن يعاملكم مع جميع الاحباب
والفقراء خاصة وعامة من كل من ينتسب إلينا بمحبة أو أخذ ورد بمعاملة كأكابر
خواص حضرته من الأقطاب والعارفين في الدنيا والآخرة ، وأن يحملكم على
جناح اللطف والعناية في الدنيا والآخرة وأن يكون لكم في كل وقت وكل حال
وكل حركة وسكون ومعيانا ومؤيدا وناصرا ومحبا وناظرا إليكم بعين محبة لكم
وعنايتة بكم إنه ولي ذلك والقادر عليه آمين . ثم أفت يا حبيبنا العربي الأشهب
الدواء الذي أوصيناك عليه اتركه لاتبعثه بل بعه هناك فإن الدواء الذي أتانا من
تلسان ما نفع منه شيء . فلاقائدة لتكويره ، وإذا قضى الله بوصولك إلينا في أي
وقت قصر الوقت أو طال فإن أمكنك أن تأتينا بشيء من الورد اليابس قدر
ما أمكن مع ما أمكن من الخل فافعل فإن لنا فيها النفع البالغ وليكن الخل العني
قاطعا وأما اللهم فلا تأنوا منه بشيء لفساده بطول المكث يصير في غاية المراوة
لايستطاع شربه ثم إنه لمرارته يتقل إلى الحرارة ونحن نريده لتبريد الحرارة
فلا قائدة له والسكر الذي يوضع فيه ذهاب في غير قائدة اللهم إلا إذا أمكن أن
تأنونا باللحم المعلوم غير البلدي الصغير بلا حصر ويصلنا صحيحا مع قصر الوقت
فكما هو فإن لنا فيه النافع البالغ والسلام وكتب أحمد بن محمد التجاني وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اه

وبلغني أن صاحب الترجمة كان مارا في بعض طرق قاس صاعدا إلى دار سيدنا
رضي الله عنه ومعه نحو ثمانية أحمال من الفحم اشترواها لأجل طبخ المتوة اليومية
لدار سيدنا رضي الله عنه فصار كلما مر بطريق يقول بعض الفضوليين من أهل
قاس هذا الفحم به يستعمل سيدي أحمد التجاني الكيمياء والإكسير قاصدين
بذلك تنقيص الشيخ رضي الله عنه وصاحب الترجمة لايجيبهم إلى أن وصل لدار

سيدنا رضى الله عنه فوجد الشيخ رضى الله عنه مع جماعة من أصحابه هناك فقال له
الشيخ رضى الله عنه ياسيدى العربى ماذا سمعت الناس يقولون لك فأخبره بقولهم
فقال له الشيخ نطلب من الله أن يسامحهم فيما يقولون وأنشد لسان حاله:

علوم الكيمياء لدى أجلى من الشمس المنيرة للبصير
إذا ما شئت تصعيدا فصعد إلى مولاك أنفاس الزفير
وقطر دمعك المسجول حتى يبين لك الصفاء من الضمير
هناك جابرا لاشك تلقى يا كسير لدى القلب الكسير

وهذه هى الكيمياء الحقيقية وأما علم النار فخاشا سيدنا رضى الله عنه من
تعاطيه إلا أن كثيرا من الناس كانوا يفسبون إليه ذلك لما يرون من إقبال الدنيا
عليه مع كثرة ما ينفقه ولا يعلمون من أين له ذلك مع ما يرونه من أمارات ذلك
كالقطارات المتنوعة الأنواع والآلات المختلفة الأوضاع التى لازال بعضهم إلى الآن
بالزاوية المباركة .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار
وليس ذلك كما يزعمون لأن سيدنا رضى الله عنه كان يقطر بها الأدهان التى تصح
بها الأبدان كاستخراج دهن الآجر الذى يستعمل للأدواء المعضلات .
وقد حدثنى شيخنا العلامة الحبيب الشريف الأصيل سيدى الحبيب الداودى
أن سيدنا رضى الله عنه كان يعطى هذا الدهن الآجورى بخفية لشيخ الركب المغربى
التاجر الأبر السيد الحاج الطالب بن جلون ليدأوى به المرضى من الحجاج وكان
ناس يظنون أن التاجر المذكور يأتى ذلك الدواء من بلاد الروم ويعطيه لهم من
مخالص ماله إلى أن صرح لهم بذلك وأنه إنما يأخذه من سيدنا رضى الله عنه .

واعلم أن ما نسبوه إلى سيدنا رضى الله عنه من معرفة هذا الفن فهو فى الحقيقة
لا يبعد عن دونه من الأولياء رضى الله عنهم لأن الله سبحانه سخر لهم الأشياء
فصارت تنفعل لهم بإذنه تعالى ، وإذا نسب الشيء إليه سبحانه وتعالى فإنه يرجع
محمودا بعد ما كان مذموما بحسب الإلقاء الربانى كما قال ابن عربى قدس سره
إن الحديد إذا ما الصنع يدخله فى غير منزله يردّه ذهباً
كذلك الخلق المذموم يرجع محمّدا إذا هو للرحمن قد نسباً

وقد نكلم العلماء تبعاً لسادتنا الأولياء. قدس سرهم على هذا الفن الكيماوي
فمنهم من أثبتته ومنهم من نفاه بحسب المشارب ، أما علماء الظاهر فإنهم يجمعون على
تحرير الخوض فيه حتى من اشتغل به لا تقبل عندهم شهادته فهو جرحه في عدالة
الخائض فيه لأمر منها غش المسلمين الذي هو أحد الموبقات في الدين مع تضييع
العمر من غير طائل مع الإسراف المنهي عنه في أمور المباحات فما بالك بغيره عند
كل عالم وجاهل ولقد أجاد ابن عبد السلام في قوله :

قد نكس الرأس أهل الكيمياء خجلاً وقطروا أدمعاً من بعد ماسهروا
إن طالعوا كتباً للدرس بينهم صاروا ملوكاً وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع وكم فقى منهم قد غره القمر
وأما علماء الباطن فقصده من نكلم فيه في مبادئ أمره قبل تمكينه في مقام
الفتح الكبير كالحسامي وغيره هو وصول المرید إلى باب الغنى فيحصل له الزهد
الحقيقي لأن الإنسان قد جبل على حب الدنيا الدنية إلا من عصمه الله من الانبياء
عليه السلام ومن على قدمهم من الأولياء فأعطاه الله سر هذا الفن الذي فيه في
الدنيا الغنى العام ليكمل لهم الشرف التام فلا يتملقون لباب سواه ولا تسقط همّة
أحدهم في طلب دنياه .

وقد اختلفت عبارات الأوائل من الحكماء في الأصل الذي يتكون منه
الأكسير واتفقوا كلهم على تسميته بالحجر المسكرم ، ثم جاء بعدهم الحكماء الأواخر
وأطلقوا عليه أسماء مختلفة برموز كادت أن لا تفهم لاختلاف العبارات في الصفة ،
الخائضون في لجة هذا الفن بالتصانيف العجيبة من الأواخر كثيرون ومن استغرق
همره فيه خالد بن يزيد وجابر بن حيان وابن أرفع رأس صاحب شذور الذهب
والجلدكي وغيرهم وقد قالوا إن هذا الحجر لا يخلو منه مكان كما في الشذور في
قافية الرام :

ألا فاعلم أن الأوائل أجمعوا على حجر ملق على الأرض مزدرى
مجان حقير القدر يمنع رخصه لكثرة من أن يباع ويشتري
وقال خالد :

حجر القوم لا محالة ممكن ليس يخفى ولا خلا منه مسكن

إن يكن أنفس الجواهر طرا فهو أذن من كل شيء وأهون الخ
ولا يشك في وجود هذا الفن إلا من يشك في شفاء السقيم باستعماله الدواء
الموافق للداء وقد أجاد صاحب الشذور في قوله في قافية المثلثة .

وكم حالف بالله جهد يمينه هلى أننا نهذى ١٠، جميعا وقد حث
ومن يك ذا فضل فليس بمرتض لاقواله الدعوى وأفعاله العبث
ألا أن الله وكل أرواحا روحانية وملائكة نورانية تخطف سر الكيمياء والإكسير
حين الإلقاء من يد أهل التدبير فلا تحصل لهم نتيجة على ممر السنين إلا من أذن له في
ذلك ممن لا يبالون به فلا يشتغلون به طول ليلهم ولانهارهم مثل سفهاء الأحلام الذين
لا يدخلون البيوت من أبوابها وينسبون النقص المركب فيهم إلى غيرهم من أربابها
نعم إذا حصل الفتح الأكبر لمن تكلم في هذا الفن ترك الخوض فيه وكذلك غالب
أكابر الأولياء لا يقول بذلك ولا يسلكون في هذه المسالك مثل شيخنا قدس الله
روحه فلا ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يخوض فيه لأنه لا يناله إلا أهل الفتح قطعا .
ولقد أخذت الغيرة طائفة من أكابر الأولياء فقاموا ينكرون وجود هذا الفن
من أهله وهذا المذهب هو الذى ينبغي للريد الصادق أن يعتقد في شيخه لئلا يكون
حظه من شيخه الحرمان ، وقد وقفت على طرف رسالة لطيفة بخط الولي الصالح
سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه أخبرنى بعض إخواننا الشرفاء أنه أجاب بها
البركة الجليل ذوالخلق الجميل القدوة الزكى والمقدم الذكى الشريف الأصيل مولاي
الطاهر بن المتوكل المتوفى أواخر رجب عام ١٢٩٩ حين سأله عما أشاعه كثير من
الناس من أن سيدنا رضى الله عنه كان يتعاطى هذا الفن قاصدين بذلك تعظيمه حين
رأوا أصحاب العقول الناقصة يعظمون من يخوض في هذا الفن ونفس ما وقفت
عليه منها بعد كلام في أن أهل هذا الزمان صاروا منكبين على الدنيا انكباب الفراش
على النار مستفرغين الوجهة في كل ما يؤهلهم إليها آتاء الليل وأطراف النهار ، قال
رضى الله عنه عكس ما كان عليه السلف والخلف من أهل نسبة الله تعالى من الفرار
من الدنيا وأهلها والافتقار من أربابها والإقبال بسكياتهم على ما يحصلون به تنوير
بصائرهم وإصلاح طويباتهم فإنهم كانوا يضربون أكباد الأبل ويشدون الرحال

١٠، نهذى من الهذيان

ويعملون ما يقدرون عليه من الترحال ويقطعون المسافات ويسبحون في المهامة والنيح ومفاوز المخافات في طلب ملاقات أهل الخير وتحصيل نظرة منهم يسعدون بها في الدنيا والآخرة ومن كان له مال منهم بذله في طلب ذلك وغير واحد منهم خرج عن جميع ما يملك مرارا حتى أن منهم من أتى شيخه بجميع ماله حتى رماد كانونه ومع ذلك لما استأذنوا عليه الشيخ قال لهم خيروه هل تقبله ولا تقبل ماله أو تقبل ماله ولا تقبله لنختبره هل خرج عن ماله لله أو لغرض نفسه فقال يقبل مالى ولا يقبلنى فظهر صدقه في بذل ماله لله تعالى فصار من أعظم المشايخ الهادين المهتدين وهو أحد أشياخ الكامل سيدى محمد بن هيسى رضى الله عنهم أجمعين .

وأعظم مقاصدهم في هذا السعى العثور على من يزيل حب الدنيا من قلوبهم ويرد منها التلغف عليها ويعرفهم خسارة قدرها وأنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة وأن حبها رأس كل خطيئة بحيث يدركون ذلك ذوقا وتحققا لا علما وتخلقا هذا أقصى مرامهم في سعيهم وقد صار الأمر بالعكس من ذلك كما قال الشيخ العارف بالله تعالى الغوث سيدى صاحب بن الغوث سيدى المعطى الشرقى في تذكرته الشهيرة :

الله أكبر بساط الفقر طوى علينا ماله من نشر
وصار فقر الوقت بالمقلوب للضعف فى الطالب والمطلوب
وقال فيها بعد ذكر ما آل إليه وصف الطريق باعتبار المنتسبين إليها والمدعين لها من غير حقيقة .

حتى ادعاه اليوم كل مفلس وصار شين الفعل صدر المجلس
والتبس الخلى بالخل واشتبه الوضع بالصلى الخ
هذا الذى أعتقده فيما أخبرتم به عن هذا الشيخ العظيم وحال المنتسبين اليوم لهذا الشيخ وغيره ، أقانا الله تعالى شاهد على ما ذكرناه مقبول والحال شاهد رضى .
وأما هذا الشيخ العظيم القدر الجليل الثناء والفخر لجلالة مقامه وعظم شأنه واستغراقه فى أنوار مشاهدته وترقيته فى درجة عرقته نأبى انشغاله بما هو ياجماع من العقلاء من قبيل الهذيان وإنما هو مشغل أهل البطالة وديدن أهل الخذلان وما رأينا فيمن رأينا ولا سمعنا فيما سمعنا من أخبار السادة الكرام من جعل ذلك

في حال غيبة ولا في حال حضور ، شغله ولا هرج عليه ، بحال من الأحوال ولا حام
حوله إلا ما يذكر من بعضهم مثل البوصيري والحاشمي وغيرهما قبل دخولهم
طريق القوم ثم تركوه بعد الدخول فيها ترك الظبي ظله .

وبما ذكره عن الشيخ سيدي محمد الشرقى مع الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف
الفايسى من المقابلة المعلومة التي يقول فيها سيدي محمد الشرقى الملك والملوك وصفهم
منعوت الخ وأجابه سيدي يوسف بقوله الملك والملوك في طينا منعوت الخ ليس
من هذا القبيل ولا في شيء من هذه السبيل وإنما ذلك من باب تعريفهم بمقاماتهم
العرفانية لا من باب تبجحهم وافتخارهم بأوصاف بشرتهم الشهوانية ولذلك تعاطوا
ذلك بعبارات لا يفهمها غيرهم لأن جملها أو كلها رموز وإشارات اللهم إلا أن يكون
ما ذكرتم عنه حفظ الله كرامته بخط يده فلا محيد حينئذ عن تأويله والتماس أحسن
المخرج له إذ التأويل فيما يصدر عن مثل هذا الإمام من مثل هذا أصل مرجوع
إليه ومعول عند العلماء الموفقين عليه .

ومن تأويله عندي أن هذا السيد كما أخبر به الثقة من فضلاء أصحابه سيد كثير
العلم مجبول على الرفق ولين الجانب فإن صح وصفه بهذا فغير بعيد أن يساعد
هذا من يطلبه منه بمن له غرض من الأغراض المتقدمة والحكمة في ذلك شقاوة
صاحب ذلك الغرض وحرمانه من خيره وكفى باعتقاده في شيخه أنه ينال منه
غرضا خفيا يبطئه له في صورة مباحة أو مطلوبة بحيث لا يتفطن له شقاوة وحرمانا
وهقوبة وخسرانا والعياذ بالله تعالى ومادري الجمهور المطبوع على قلبه أن الأشياء
إنما يعاشرهم أمثال من هذه صفته من باب المعاشرة بالمعروف وأن معاشرتهم له
كمعاشرة هقلاء الرجال لنسائهم ، وإن المحجوب عند أهل الطريق رضوان الله عليهم
امرأة وإن كان رجلا كما صرح به أهل الطريق في أمثاله ، وعلى هذا فلا نقص يلحقه
في مصاحبة أمثال هؤلاء ولا في الإسماعف لهم في بعض الأغراض التي يضررونها
في قوالب الصور المباحة والمساعدة لهم فيها ظاهرا وقلبه غائب في مشاهدة جلال
الحكيم العليم سبحانه وتعالى وتلك المساعدة اقتضتها الحكمة الإلهية على أن من
أوصاف المؤمنين التغافل والتجاهل والتغابي ، وفي الحديث المؤمن كيس حذر مثناه
تغافل أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث أيضا ، المؤمن هين لين تخاله من اللين أحمق ، وقد قيل :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

فما يظهر على عامة المؤمنين وأولياء الله الصالحين من الغباوة لا وجود له في نفس الأمر وإنما هو في نظر الرائي فمن أراد الله شقاوته وخذلانه فيخدهم بسبب ما يؤديه إليه ذلك وما يخدع في الحقيقة إلا نفسه ودينه والعباذ بالله تعالى . هذا بعض التأويلات عندي في هذا الذي أخبرتم به وما ذكرت عن بعض الناس ممن ينتسب لهذا الشيخ الجليل من التبجح بهذا وإظهار الفرح والمرح به بكثرة القول والقييل فإنما ذلك لأمرين :

الأول : قصورهم في علم الطريق بل في مبادئ العلوم إذ لولا قصورهم لعلوا أن هذا مما يجب تنزيهه ساحة عموم أهل الله عنه فضلا عن الشيوخ الكاملين ويكونون أولى من غيرهم بتنزيهه شيخهم وتبرية مقامه الأهر .

الثاني : من الأمرين عدم صدقهم في محبته إذ لو صدقوا في محبته لانتج لهم ذلك الصدق عظيم حرمة ولو حصل في قلوبهم عظيم حرمة لمنهم ذلك وإن كانوا هوأما اقحاحا من أن ينسبوا له مثل هذا الهوس وتضييع قدر معتبر من العمر في الاشتغال بعمل يعلم كل عاقل أنه لا يشتغل بمثله إلا أقاريد طلبة المدارس من الموسومين منهم بالشيطنة وخبث السرائر والموصوفين بدناءة المغارس ويا عجبا لهم كيف اجتمع في حقهم وتصور في أذهانهم الاعتقاد الواجب على المرید في حق شيخه من الكمال الذي هو الغاية في بابه مع نسبة مثل هذا إليه فإنها لا تعمى الأبصار واسكن العناد والعباذ بالله تعالى يوجب ذلك وأكثر منه ، وذلك كما حرره الجهابذة أن العناد من الكبر ، ومن الكبر يتولد عدم الإنصاف كما قاله الشيخ زروق رضي الله عنه . قال السلامة ابن ذكرى هلى قوله عدم الإنصاف أى ترك الرجوع إلى الحق وعدم تسليمه والإذعان له ، فإذا نوظر في مسألة وظهر الحق مع غيره كابر وعاند وانتصر لنفسه بالباطل ، وذلك لأن الكبر يصد عن العمل بالعلم ويسد مسالك الفهم قال الله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)

قال ابن حمزى الآيات يراد بها الآيات القرآنية وخيرها من الكتب أو العلامات والبراهين والصرف عنها يراد به صدم عن فهمها عقوبة لهم على تكبرهم وقيل

الصرف منهم من إبطالها والمعنى أن الله يطبع على قلوب المتكبرين ويخذلهم
فلا يتفكرون في الآيات ولا يعتبرون بها ولا يفهمونها وأنه سبحانه وتعالى يصرفهم
عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آيات موسى بأن جمع السحرة
فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل فجعل الله عقوبة الكبر عمى البصائر والطبع
على الأفئدة فلا ينتفع أصحابه بالموعظة ولا يتذكرون الله بنقل العلامة ابن ذكرى،
فبسبب هذا العمى اجتمع في عقول هؤلاء اعتقاد المشيخة في هذا السيد مع نسبتهم
هذا إليه، أعاذنا الله بمنه وكرمه، وما ذكرت عنهم من المقال في جانب شيخنا
رضي الله عنه وقدس سره العزيز فلا يهملك ذلك فمن أين نرى الشمس مقلة عمياء
وما مقام شيخنا رضي الله عنه إلا كما قال القائل :

كالشمس صهوا تغش دأبها، أبصار الورى نوراً وتعمى أعين الخفاش

وأي نقص يلحق مقامه في ذلك الذي يقولون :

ماضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

بل ذلك بما يدل على الكمال كما قيل :

وإذا أمتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

وكم من تنقيص أظهر الزيادة وكم من رائم هضم أتم السيادة وإن زعموا أنهم
تقلوا ما يشير إلى تنقيص الشيخ رضي الله عنه عن شيخهم حفظ الله علاه فلاغرابه
هل زعمهم في عدم معرفته بمقام شيخنا أيضاً، فهذا الخضر عليه السلام مع جلالة
قدره وعلو مقامه الذي لا يرام ذكر عنه الشيخ العارف بالله تعالى سيدى أحمد ابن
عبد القادر التستاونى أحد أفراد الطريق الناصرية وخطوها في نزته مانصه : ويحكى
عن الخضر عليه السلام أنه اجتمع ببعض الصالحين فقال له هل تعرف الأولياء
جملة فقال أعرف أهل الدائرة منهم وغيرهم منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه
فسأله عن عدد أهل الدائرة فقال له هم واحد وثلاثة وأربعة وسبعة وعشرة
وأربعون وسبعون وثلثمائة ولو اطلع السبعون على الأربعين لرأوا سفك دماهم
حلالاً كما وقع لى مع موسى فليس الشارب من الماء كالشارب من العسل المصفى ولا
الشارب من العسل كالشارب من الخمر ولا الشارب من الخمر كالشارب من اللبن
١٠ من حذف الياء من تغشى ضرورة (المؤلف) ويصح تعش بالعين (المصحح)

وهو شراب أهل التمكين ولا الساق لهم من هذا كالساق لهم من هذا ولا النشوان من هذا كالنشوان من الآخر ، وقد تدفع هذه الكؤوس كلها بيد واحد يسقى كل وارد على حسب ما سبق له يوم ألت بر بكم اه من الزمة .

ولهذا نقل عن بعضهم أن الأولياء إذا اختلفوا في المشارب يكفر بعضهم بعضا ، وذكر الشيخ العارف بالله تعالى أعجوبة الزمان وحامل راية المحبة والعرفان سيدي المعطى بن سيدي صالح في ذخيرته في سفر العقبات منها ما نصه :

واعلم أنه لما كانت هذه الطريق أمرها عجيب وسرها غريب قل ماتجد أهلها متفقين أو يثبت أحدهم للآخر قدما أو يكون لهم معظما بل ترى الغالب أن كل واحد يدعى أنه الواصل وأن غيره ليس عنده طائل حتى قال بعضهم إن للقطب مائة ألف مقام واثنين وأربعين ألف درجة وكل واحد ممن سلك رتبة من هذه أو مقاما من هذه المقامات يرى أنه لم يسلك أحد مقامه لقوة أنواره وعظيم أسرارها انتهى من الذخيرة بلفظها في السفر المذكور .

ومن عرف هذا عرف يقينا أنه لا غرابة في عدم معرفة الأولياء مقامات بعضهم بعضا فيسلم للجميع ويعتقد كآلهم جميعا ولا يحمله ماشجر بينهم أن يدخل بينهم فقد يكون ذلك الواقع بينهم من المشاجرة والمناقضة سببا لهلاك من يحمله الفضول على الدخول بينهم وموجبا لطرده عن باب رحمة الله تعالى فحسر الدنيا والآخرة ويشير إلى هذا ما ذكره غير واحد عن الشيخ الكبير القطب الشهير سيدي محمد الشرقي وقد كان وقع بينه وبين عصره الشيخ الشهير ذي القدر الخطير سيدي أحمد بلقاسم الصومعي شيء من هذا حتى كان كل منهما يقول في الآخر العظام فتلف بعض المريدين مع سيدي محمد الشرقي في السؤال عن حقيقة ذلك فقال أنا وهو كحجرى الرحى من دخل بيننا نطحته غير أنى أقول غفور رحيم وهو يقول : شديد العقاب اه فأشار إلى الحكمة الإلهية المبطوثة في ذلك وهى أن ذلك سبب لظهور أثر تعلق قهره سبحانه وتعالى وعدله بمن يدخل بينهما كما أشار إلى أن الأصل في تلك المناقضة اختلاف المشارب كما قدمناه في قوله غير أنى أقول غفور رحيم الخ وعلى هذا الذى تقرر فلا تحتفل يا أخى بشيء مما أشرت إليه من مقابلة من لم يشفق على نفسه فأدخلها في الفضول الذى مآذله أحد إلا وسقط على أم رأسه ،

ومن قصدك منهم بإذاية أو تشويش في دينك أو دنياك فإن استطعت أن تكتفي بتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى عن كل شيء من مقابله حتى عن الدعاء عليه فإن ذلك أولى عند أهل الله تعالى من جهة الأدب وهو أسرع في الانتقام من الظالم ومعالجته بالهلاك والعطب وفي عليك ما ذكره العارف بالله تعالى التاج ابن عطاء الله رضي الله عنه من حكاية المرأة التي كانت لها دجاجة تتقوت ببعضها فسرقت منها فاستسلمت ولم تدع على من سرقها ، فلما ذبحها السارق وبتفها نبت الريش في وجهه ولم يستطع إزالتها حتى أتى حبرا من بني إسرائيل فقال لا أجده لك دواء إلا أن تدعو عليك المرأة صاحبة الدجاجة فأرسل إليها من احتال عليها حتى أغضبها ودعت عليه فتساقط الريش من وجهه ، فسئل الراهب من أين هلت هذا فقال لما لم تنتصر لنفسها انتصر الله لها فنبت الريش في وجه السارق ، ولما انتصرت لنفسها سقط الريش من وجهه اهـ

وليكن اهتمامك بالاشتغال بما ينفعك في خاصة نفسك ويؤنسك يوم حلولك برمك وليس ذلك إلا العمل الصالح وإنما يعينك عليه بل لا تتمكن من السبيل إليه إلا بتركك ما لا يعينك فاجعل نصب عينيك قوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ،

قال بعضهم : وما لا يعنى العبد تعلمه ما لا يهمه من العلوم وتركه الأهم منها كمن ترك العلم الذي فيه صلاح نفسه واشتغل بتعلم ما يصلح به غيره كعلم الجدل ويقول في اعتذاره نيتي نفع الناس ولو كان صادقا لبدأ بما يصلح نفسه وقلبه من إخراج الصفات المذمومة من نحو حسد ورياء وكبر وعجب وترأس على الأقران وتطاول عليهم ونحوها من المهلكات اهـ

وبالجملة فما لا يعنى هو ما يفسر به الحديث شراحه وهو قولهم ما لا يعنى هو ما لا تدهو الضرورة والحاجة إليه وهو الفضول قالوا ويعنى الأقوال والأفعال والعوارض القلبية اهـ هذا والمطلوب الأكيد منك أعزك الله أن لا تنساني من صواح أدهيتك الخ ولا يخفى أن ذكر هذه الرسالة هنا بما تتروح به روح كل موفق رشيد لاشتغالها على أن ما ينسب بعض الإخوان مع أقاريد من المنتسبين إلى سيدنا رضي الله عنه ليس بصحيح ولا سديد فأياك يا أخى من اغترار كل شيطان مرید

يدعى معرفة هذا الفن ليغرك به بنصب شبكة الطمع الذي يصير الأحرار من جملة العبيد ولا ينبئك مثل خبير ، وقد بسطت بعض الكلام على هذا المعنى في كتابنا نيل الأمان في الطب الروحاني والجسماني المروى عن شيخنا التجاني جعله الله من العمل المقبول .

واعلم أن صاحب الترجمة رحمه الله كان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عالية في المحبة وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم عليه الشيخ رضى الله عنه وكان ملازماً للشيخ رضى الله عنه في الحضر والسفر نحو العشرين سنة ، ولما توفى رحمه الله قال فيه سيدنا رضى الله عنه نعم الرفيق نعم الصاحب وحضر سيدنا رضى الله عنه جنازته بنفسه . وبلغنى أنه لما دفن أتى بعض خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنه إلى سيدنا رضى الله عنه لتعزيته فيه وقال له ياسيدى إن مات سيدى العربى فكلنا مثله فقال الشيخ رضى الله عنه ما كان مثله ولا يكون . وكفى بهذا شرفاً لهذا السيد رحمه الله وهو مدفون بقباب باب الفتوح .

وبلغنى أن سيدنا رضى الله عنه لما صعد لجنازته جلس وقت الدفن تحت شجرة زيتون هناك وهذه الشجرة مشهورة الآن عند بعض فقراء فاس مقصودة بذية التبرك وقد اشتهر عندهم أن من اشتكى بوجع الظهر واستند إليها يبرأ بأذن الله تعالى . واتفق لى مع بعض المتفقهين الذين بطروا بتمشدهم أنى حضرت فى جنازة دفنت بالروضه التى دفن بها صاحب الترجمة وسألت بعض الإخوان عن الشجرة المذكورة لأعرفها فقال لى ذلك المتفقه على طريق الإنكار ونحن جماعة جلسنا تحت ظلها ما محصله كان من حق علماء الطريقة التجانية أن يأمرؤا بقطع هذه الشجرة كما قطعت شجرة الرضوان لئلا تعبد من دون الله فقلت له دع عنك هذا التفقه . ألم يكن معروفاً عند الخواص والعوام من أهل السنة أن التبرك بآثار الصالحين محمود ولا يخاف على عوام المسلمين فساد العقيدة بالتبرك بنحو هذا فما بالك بغيرهم وأظن أنك بهذا القول أردت التبجح بعلمك وماذا تقول فى مآثر غير شيخنا رضى الله عنه على أنه موجود ما هو أقرب فى ادعائك للعبادة من هذه الشجرة كغار حراء الذى دخله النبي صلى الله عليه وسلم والحجر الأسود والأماكن المقصودة للزيارة فعلى مقتضى قولك هى أولى ما تسبى فى خرابه واندراسه ، ما أرى منك هذا إلا نزغة

اعتزال وقوله شنيعة تفضي للوبال فقام منكسا رأسه والجماعة تلومه على ما صدر منه وفقنا الله لما فيه رضاه .

ولما توفي صاحب الترجمة رحمه الله أتى أولاده إلى سيدنا رضى الله عنه بأمانة داخلها تسعمائة محبوب ذهبوا ودفعوها إليه وقالوا له يا سيدنا إن هذه بقيت من المال الذى تدفعه للرحوم للصائر على دارك فردها سيدنا رضى الله عنه لهم وقال رجل بقى مع رجل مدة من السنين ويوم توفي بقى عند أولاده شظية يأخذها منهم ما هى شىء اهـ

وإصاحب الترجمة رحمه الله أربعة أولاد قد سلكوا فى هذه الطريقة مسلكه كانوا ملحوظين بعين التعظيم فى كل سكون وحركة وكلهم محبوبون عند سيدنا رضى الله عنه وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم عليهم كما وقفت على ذلك فى مشاهد الخليفة المكرم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه .

ولده السيد محمد الكبير والسيد محمد الصغير

أولهم البركة الفاضل العارف الواصل أبو عبد الله سيدى محمد الكبير وهو أكرمهم وكان الشيخ رضى الله عنه يقربه منه ويدنيه إليه وقبره بباب الفتوح ، وثانيهم المحب الصادق فى الجنب الأحمدي والملحوظ بعين المودة عند سيدنا رضى الله عنه السيد محمد الصغير الملقب بابن المشرى وسبب لقبه بهذا الاسم ما بلغنى على لسان الثقة أن ابن سيدنا رضى الله عنه كان يتذاكر معه يوما إلى أن قال له بحق عليك البشارة فقال له يا سيدى وما ذاك فقال له رضى الله عنه وجدت فى الكناش المكتوم أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى والدك سيدى العربى من سيدنا الشيخ رضى الله عنه فلقب من ذلك الوقت بابن المشرى ، وقد سافر مع أولاد الشيخ رضى الله عنه من فاس إلى عين ماضى وتوفى رحمه الله بناحيتهما وقد تقدمت لنا فى ترجمة الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى رسالة أجاب بها القطب الكبير سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه صاحب الترجمة حين سأل منه النصيحة وقد ذكرنا هناك غلطا واعتذرنا عنها هناك فلينظرها من أرادها .

السيد محمد فتحا

ثالثهم ذو الخلق الجميل والقدر الجليل أبو عبد الله السيد الحاج محمد فتحا وقبره .

قرب أخيه بقباب باب الفتوح .

السيد احمد

رابعهم أبو العباس السيد احمد هو أصغر إخوته سنا وهو مدفون بباب الحمراء
من فاس رحمة الله تعالى .

سيدي مسعود السعداني

ومنهم الشريف الأصيل والفاضل الجليل أبو البركات سيدي مسعود السعداني
كان عند سيدنا رضى الله عنه ملحوظا بعين المودة ويحبه محبة خاصة وقد حدثني
بعض أحفاده وهو من العدول المبرزين أن صاحب الترجمة كان الغالب عليه أن
يأتى للاجتماع بالشيخ رضى الله عنه مع محبة الأرضى عم محمد الهاروشى وكان الشيخ
رضى الله عنه يقول لعم محمد الهاروشى إذا اجتمع به وحده أين سيدي السعيد فكان
الغالب عليه أن لا يقدم على سيدنا رضى الله عنه إلا إذا ذهب إلى صاحب الترجمة
ويأتى به معه لحضرة الشيخ رضى الله عنه وإذا جاء بدونه يسأله عنه ، توفي رحمه الله
سنة ١٢٥١ ودفن بروضة الشرفاء السعدانيين بباب الفتوح .

سيدي العربى العراقى

ومنهم الشريف المنيف العلامة الفطريف سلالة الأماجد الكرام ومعدن
الفضل بين الأنام أبو الوليد سيدي العربى العراقى أحد المفتوح عليهم من خاصة
أصحاب سيدنا رضى الله عنه المقربين إليه والملحوظين إليه بعين الإجلال لديه وقد
حدثني بعض إخواننا من الشرفاء العراقيين أن صاحب الترجمة كان يجلس مع سيدنا
رضى الله عنه فى بعض أوقات أكلة على المائدة مع أنه لا يجلس معه إلا بعض الخاصة
وقد كان جالسا معه يوما على المائدة فأتى ابنه علامة عصره ووحيد مصره شيخ بعض
أكابر شيوخنا المحدث الشهير سيدي الوليد العراقى المتوفى فى ٧ ربيع الثانى سنة
١٢٦٥ وكان صبيا فأجلسه سيدنا رضى الله عنه بحجره وصار يطعمه بيده المباركة
وأعطاه لقيمات من الكسكسون الذى أعده لأكلة فى ذلك الوقت ودعا له بالفتح
فكان من أمر هذا السيد الجليل ما كان من الفتح فى العلوم الظاهرة والباطنة إلى
أهل مكان مع الحفظ الباهر ببركة دعاء سيدنا رضى الله عنه اهـ

ومنهم ذو الفتح الظاهر والسر الباهر والقدر العلي والفضل الجلي الشريف الاصيل سيدي عمر العراقي من أبناء أعمام المترجم له قبله . كان رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه وقد حدثني بعض أقاربه الاخيار أن سيدنا رضي الله عنه شهد لصاحب الترجمة بالفتح وأخبر سيدنا رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه من أولاده الحقيقيين وكانت له هممة عالية مع انبساط نفس مع الخاصة من الأصحاب ولازال محافظا على ما تلقاه من الأذكار عن سيدنا رضي الله عنه إلى أن توفي رحمه الله ودفن بروضة العراقيين بباب الفتوح .

سيدي التهامي بن رحمون

ومنهم العالم العامل العارف الواصل الماجد الجليل الشريف الاصيل أبو محمد سيدي التهامي بن المكي بن رحمون أحد أكابر خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، وكان سيدنا رضي الله عنه كثيرا ما يدخل لداره بحومة النجارين بالدرب المعروف بدرب مينة من فاس وكان سيدنا رضي الله عنه يحبه محبة خاصة لما فيه من صدق المحبة وصفاء المودة وكان يخصه من بين الأصحاب ببعض الأسرار الخصوصية ولازال عاضا بنواجذه على عهد هذه الطريقة المحمدية حتى توفي رحمه الله يوم الأربعاء ١٦ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٦٣ ودفن بزاوية سيدي قاسم بن رحمون وقبره بأعلى درج الباب من الدرب المشار له مكتوب عليه ، وله تقايد عديدة وتآليف مفيدة منها تقنييد في المسبغات العشر أبدى فيه وأعاد وأفاد فيه وأجاد ذكر فيه بعض ما تلقاه عن سيدنا رضي الله عنه فيها كما أخبرني بعض أحفاده العدول الثقات .

السيد المدني الشرايبي

ومنهم ذو الفتح المبين والدين المتين والكشف الصريح والفضل الصحيح أبو السعادة السيد المدني الشرايبي ، هذا السيد من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه وكان مفتوحا عليه في هذه الطريقة وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي رضي الله عنه أنه اجتمع به ورأى من كراماته ما يبهر العقول وهو الذي قال له في أول سفره من عين ماضى لا بد أن تستوطن قاسا فكان الأمر كما قال له بعد أن كان لا ينوي سكنها في همرة .

وحدثني رضي الله عنه أيضا أنه حدثه بأن الشيخ رضي الله عنه لما أخبره بعض أصحابه بأن بعض أهل فاس الذين نفخ الشيطان في حناجيرهم وكانوا مسموعين الكلمة أرادوا أن يذكروا به ويخرجوه من فاس وشكوا به إلى الحضرة السلطانية وتخوف عليه أصحابه حصل لسيدنا رضي الله عنه غيظ جلالى ، وكان جالسا مع جماعة من أصحابه من جنتهم صاحب الترجمة فقام سيدنا رضي الله عنه من بينهم لما سمع ذلك ودخل لداره فلم يلبث إلا قليلا وخرج رضي الله عنه وقال لأصحابه الحاضرين سمعت من الحضرة أنى لا تصل إلى يد أحد بسوء أبدا .

وسبب أخذه الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه ما حدثني به سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى رضي الله عنه أنه رأى كأن القيامة قد قامت والناس فى هول عظيم وإذا بشيوخ الطوائف يمرون فبهم من نبي جميع من كان ينتسب إليه وطرده ، ومنهم من نبي بعضهم كالشيخ سيدى محمد بن عيسى فإنه طرد أصحاب المزامير وبقية معه طائفة ثم إن صاحب الترجمة لما رأى ذلك التفت فرأى موضعا كالجلجل والناس يجتمعون فيه من كل فج ومن كل جهة حتى سد الأفق ثم طار بالناس المجتمعين عليه حتى مر على الصراط وهو يرى كلح البصر فسأل عنه فقيل له هذا سيدى أحمد التجانى ، فلما سمع ذلك جعل يديه على صدره وقال هذا هو الشيخ الذى نأخذ طريقه فاستيقظ وهو يقول ذلك ، فقام وذهب إلى الشيخ رضي الله عنه وحكى له الرؤيا وأخذ عنه طريقته المحمدية وكان الشيخ رضي الله عنه يحبه ويثق عليه ، وقد حدثني الفقيه العلامة السيد عبد السلام بنانى أن عمه العلامة سيدى أحمد كلا بنانى حدثه أن صاحب الترجمة كان عند سيدنا رضي الله عنه بمكة إمالة فى المحبة اه

السيد المكي الشرايبي

وكذلك عمه الفقيه الأستاذ السيد المكي الشرايبي كان يحبه سيدنا رضي الله عنه إلا أن السيد المذكور لم يصبح عندي أخذه الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه فم كانت له محبة صادقة فى الجنب الأحمدي وكان أولاً ممن كانوا مشتغلين بالكلام فى هذه الطريقة من المبغضين ، وكان بعض علماء وقته بمن فى مرتبة كالشيخ الطيب ابن كيران لا يكمل لم جمع إلا لمواقته لم فى الطبع ، فاتفق أن توفى منهم بعض

المبغضين على حالة سيئة فألم الله السيد المكي المذكور أن تفطن بأن ما أصاب ذلك
المالك إنما هو من جهة سيدنا رضى الله عنه فبادر إلى التوبة وقصد سيدنا رضى الله
عنه وصار يتعلق بين يديه ويطلب منه المسامحة مما كان يصدر منه وأنه من الآن
تائب لله تعالى من الكلام فيه ومن مخالطة كل مبغض فقبله سيدنا رضى الله عنه
وقال له ساعتك مائة مسامحة فتهلل وجه هذا الفقيه وهو يقبل يدي سيدنا رضى الله
عنه وقال له أشهد على ياسيدي أنني أحبك لله محبة خالصة لوجهه لا لشيء آخر فقال
له سيدنا رضى الله عنه أبشر بمحبتك فينا فإنك لا تموت إلا ولياً ، ولا زال هذا
السيد على عهده في المحبة في الحضرة التجانية ، وبعد وفاة سيدنا رضى الله عنه أحس
بمرض لم ير مثله وتحقق أن أجله قد قرب فأرسل إلى ابن أخيه صاحب الترجمة
وقال له يا ابن أخى لا بد من أن تذهب إلى ضريح الشيخ رضى الله عنه وتبلغه
رسالتى وذلك أن تقول له إن فلانا وسمى نفسه يقرئك السلام ويقول ياسيدي
إنك بشرته في حياتك بأنه لا يموت حتى يحصل هلى كذا وذكر له بعض مقامات
بعض الأولياء وقد أشرف الآن على الموت وأماراتها توالى عليه وإلى الآن لم
يظفر بذلك وهاهو ذا رفع الأمر إلى الله ثم إليك قال فذهب وبلغ الرسالة كما أمره
وبعد ذلك الوقت دخل عليه يعود فوجده فرحاً مسروراً مع شدة ما فيه من المرض
فقال له يا ابن أخى إن النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ رضى الله عنه كانا عندي
في هذه الساعة وبشراني بنيل كذا وأخبراني بأنى سألتحق بهما في ساعة كذا من
يوم كذا فكان الأمر كما قال رحمه الله .

السيد عمر الشرايبي

ومنهم الولي الصالح ذو السعى الرابع البركة العظمى السيد عمر الشرايبي ، هذا
السيد رحمه الله مشهود له بالفتح المبين وكان ذا قدم مكين في هذه الطريقة كثير
الأذكار وكان محترفاً يبيع الحلوى وكل من اشتراها منه يقول له كلها بالفتح ، وكان
حسن الصوت في الباع يقوم في وسط حضرة الذكر بحضرة سيدنا رضى الله عنه
ينشد بصوت كأنه من مزامير داود عليه السلام وله في مدح سيدنا رضى الله عنه
قصائد هدية بالولن المعروف بالملاحون .

ومن عجيب كراماته ما حدثني به الفقيه العلامة السيد عبد السلام بناني أن عمر